

الرسالة رقم: (٦٩) مجلّة المجلد الثاني
المجلد الثاني

المشرب بالورد في مذهب المهادي

تأليف العلامة
المجلد الثاني

نُطبع مطبوعاً على أربع نسخ خطية

تحقيق وتعليق
ماهر أديب جوش

دار الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المتقين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فقد اختلف الناس في مسألة المنتظر اختلافاً كبيراً، ولم يقتصر هذا الاختلاف على المسلمين فقط، بل إن الاعتقاد به هو جزء من عقيدة النصاري واليهود، ولكل تصور عنه ليس هذا مجال الخوض فيه، لكن سيرد في آخر الكتاب إن شاء الله إشارة إليه.

وسنوجز في هذه القضية مواقف المتتمين إلى الإسلام، حيث يُمكن أن تُقسم تلك المواقف إلى أربعة أقسام:

١ - موقف الشيعة: أمّا الشيعة فقد غالوا في هذه المسألة كثيراً، ورووا فيها آلاف الأحاديث، بل جعلوها أصل عقيدتهم، وأساس بُنيانهم، وهو عندهم الإمام المتواري، محمد بن الحسن العسكري، وقد دخل في السرداب وهو ابن خمس من السنين، وهم بانتظار خروجه ليكون لهم إماماً في الدنيا والدين، ومخلصاً من ظلم الظالمين وأذى المجرمين.

وهناك غيرهم أيضاً قد ادعى مهدياً قد ظهر، لكنه مات واندثر، ولم يتوار عن عيون البشر، وسيرد ذكرهم في آخر الكتاب، بمشيئة الله رب الأرباب.

٢- موقف بعض أهل السُّنَّة من العَوَامِّ والجُهَّال، الذين تَسْتَهْوِيهِم أخبارُ الفتن والأهوال، فقبلوا كلَّ ما رُوِيَ فيه دونَ تَمَحُّيصٍ أو تَحْقِيقٍ، وأخذوه مسلِّماً دونَ نظريٍّ فيه أو تدقيقٍ، ولم يميِّزوا صحيحَ الأخبارِ من سَقِيمِها، ولا ثابِتِها من موضوعِها، ولا عَرَفُوا مُسْلِمَها من إِسْرَائِيلِيَّها، فغالوا أيضاً في هذه المسألة كثيراً، لكنَّهم دونَ مَنْ قبلَهم بكثيرٍ.

٣- وهناك بعضُ المنتمين لأهل السُّنَّة مَنْ وَقَفَ موقفَ النقيضِ لِمَنْ سَبَقَ، فَأَنكَرَ قِصَّةَ المهديِّ مِنْ أَساسِها، وردَّ كلَّ ما جاءَ فيها من أحاديثٍ وأخبارٍ، فبعضُهم جَعَلَهَا مِنَ الإِسْرَائِيلِيَّاتِ، وآخرونَ مِنْ وَضْعِ الزَّنادِقَةِ والعُصاةِ، فَمِنْ ذَلِكَ ما قاله بعضهم في تعليقه على «الحاوي للفتاوي» للسيوطي، في آخرِ جزءٍ «العَرَفِ الوَرْدِي في أخبارِ المهديِّ»: «يَرى بعضُ الباحثينَ أَنَّ كلَّ ما وَرَدَ عن المهديِّ وعن الدَّجَالِ مِنَ الإِسْرَائِيلِيَّاتِ».

ونحوه ما قاله آخَرُ مِنَ المُعاصِرِينَ، ونصُّه: «ويَرى الكثيرونَ مِنَ العلماءِ الثِّقاتِ الأثباتِ أَنَّ ما وَرَدَ مِنْ أحاديثٍ خاصَّةٍ بِالْمَهْدِيِّ لَيْسَتْ إِلَّا مِنْ وَضْعِ الباطنيَّةِ والشَّيعَةِ وأضرابِهِمْ، وَأَنَّها لَا تَصِحُّ نَسْبُتُها إِلَى الرَّسُولِ ﷺ».

بل ذَهَبَ البعضُ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ، فَشَمَلَ فِي إنكارِهِ ما جاءَ في عيسى عليه السَّلامُ والدَّجَالُ، لكنْ كعادَتِهِ بِطريقةِ المَكْرِ والاختِيارِ، فقال ما معناه مِنَ الكلامِ المُحالِ: «إِنَّ ما جاءَ مِنَ الأحاديثِ في شَأْنِ المهديِّ ونزولِ عيسى بنِ مريمَ والدَّجَالِ، إِنَّمَا هُوَ رَمْزٌ لَا يُنْتَصَرُ الحَقُّ عَلَى الباطلِ»^(١).

ولعلَّ الَّذِي أَوْقَعَ هؤُلاءِ في هذا الزُّورِ والبُهتانِ، هُوَ أَنَّ قِصَّةَ المهديِّ لَمْ تَرُدْ في القرآنِ، ولا في الصَّحِيحَيْنِ تَصْريحاً بالبيانِ.

(١) انظر هذه الأقوال في: «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر» للشيخ عبد المحسن العباد (ص ١٢٧).

٤ - أمّا المعتدّلون المحقّقون من أهل السُنّة والجماعة فإنّهم وقّفوا الموقفَ الوَسَطَ الصّحيح، فدَرَسوا ما جاء من أخبارِ دراسةٍ تمحيصٍ وتحقيقٍ، ويَنبِئوا الصّحيحَ والحَسَنَ منها والمُسْتَقِيمَ، وعَرَفُوا الضّعيفَ والموضوعَ السّقيمَ، فأثَبَتُوا خروجَ رجلٍ من النّسَبِ الشّريفِ المعظّم، من ولدِ الحَسَنِ أو الحُسَيْنِ ابْنِي عَلِيٍّ رضيَ اللهُ عنهُم، يُوافِقُ اسمُهُ اسمَ الرّسولِ الأعظم ﷺ، واسمُ أبيه اسمُ أبيه، يتولّى إمرةَ المسلمين، ويُصَلِّي خلفَه عيسى بنُ مريمَ عليه السّلامُ من جملةِ المأمومين، وذلك لدلالةِ الأحاديثِ الكثيرةِ المستفيضةِ عن رسولِ اللهِ ﷺ، التي تَلَقَّتْهَا الأُمَّةُ بالقبولِ واعتقدتْ مُوجبَها إلّا مَنْ شَذَّ مِمَّنْ تَقَدَّمَ.

ومن هؤلاء الإمامُ ابنُ القَيِّمِ رحمه الله، فقد أوردَ كثيراً من الأحاديثِ في قصّةِ المهديِّ، ثُمَّ قال: «وهذه الأحاديثُ أربعةُ أقسامٍ: صحاحٌ، وحِسانٌ، وغرائبٌ، وموضوعةٌ».

وقد وردَ في الصّحيحينِ بعضُ الإشاراتِ إلى المَهديِّ، منها: ما يكونُ من أميرٍ صالحٍ يصَلِّي عيسى عليه السّلامُ مؤتمّاً به عندَ نزوله، فقد رَوَى البخاريُّ ومسلمٌ من حديثِ أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه قال: قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: «كيفَ أنتم إذا نزلَ عيسى بنُ مريمَ فيكم وإمامُكم منكم».

ورَوَى مسلمٌ عن جابرٍ رضيَ اللهُ عنه نحوه، وفيه: «فينزلُ عيسى ابنُ مريمَ ﷺ، فيقولُ أميرُهُم: تعالَ صلِّ لنا، فيقولُ: لا، إنّ بعضَكم على بعضٍ أمراءٌ؛ تَكْرِمَةً اللهُ هذه الأُمَّة».

وما عدا الصّحيحينِ فقد رُوِيَ أحاديثُ المَهديِّ في أكثرِ كتبِ السُّنَنِ المشتهرة، ودواوينِ الإسلامِ المعتبرة؛ كسُنَنِ أبي داودَ والتِّرْمِذِيِّ وابنِ ماجه، و«مسند أحمد»، و«صحيح ابن حبان»، و«مستدرک الحاكم» وغيرها.

كما رُويَتْ أحاديثُ المهديِّ عن جمعٍ من الصَّحابة؛ منهم: أبو هُرَيْرَةَ، وابنُ مسعودٍ، وأمُّ سَلَمَةَ، وأبو سَعِيدٍ، وحُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ، وأبو أَمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ، وعبدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وعبدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وثُوبَانُ، وأنسُ بْنُ مَالِكٍ، وجابرٌ، وابنُ عَبَّاسٍ، وغيرُهم. وستأتيك أحاديثُهم مع تخريجها مبنوثةً في هذا الكتابِ إن شاء الله تعالى.

وهذه الأحاديثُ منها الصَّحيحُ ومنها الحسنُ والصَّعِيفُ، وقد أوصلَ بعضهم ما رُويَ فيه إلى درجةِ التَّوَاتُرِ المعنويِّ، فقد قال القرطبي: «وقيل: المَهْدِيُّ هو عيسى فقط، وهو غيرُ صحيحٍ؛ لأنَّ الأخبارَ الصَّحاحَ قد تَوَاتَرَتْ على أنَّ المَهْدِيَّ مِنْ عِتْرَةِ رسولِ الله ﷺ، فلا يَجُوزُ حَمْلُهُ على عيسى»^(١).

وقال أبو الحسين محمد بن الحسين الأبري في كتاب «مناقب الشافعي»: «وقد تَوَاتَرَتْ الأخبارُ واستفاضَتْ عن رسولِ الله ﷺ بذكرِ المهديِّ، وأنَّه مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وأنَّه يملكُ سبعَ سنينَ، وأنَّه يملأُ الأرضَ عدلاً، وأنَّ عيسى يخرجُ فيساعدهُ على قتلِ الدَّجَالِ، وأنَّه يؤمُّ هذه الأُمَّةَ ويصليُ عيسى خَلْفَهُ».

نقله عن الأبري أئمةٌ كبارٌ مِنْ أَهْلِ التَّحْقِيقِ والتَّحْدِيثِ ولم يتعقَّبْهُ أحدٌ منهم بشيءٍ، ومن هؤلاء: المَزِّيُّ في «تهذيب الكمال»، وابنُ القَيْمِ في «المَنَارِ المُنِيفِ»، وابنُ حجرٍ في «تهذيب التَّهْذِيبِ»، وغيرُهم، وسيأتي في هذا الكتابِ إن شاء الله.

لكنَّ ثَمَّةَ ملاحظةٍ لا بدَّ من التَّنْبِيهِ عليها بالنِّسْبَةِ لهؤلاء، وهي أنَّهم في اعتقادهم بالمهديِّ لم يَعتَقِدُوهُ مَخْلُصاً يَنْتَظِرُونَ خُرُوجَهُ لِيَرْفَعَ الظُّلْمَ عنهم، ولا ظنَّ أحدٌ منهم أنَّ في الدِّينِ نقصاً سيأتي المهديُّ ليُكَمِّلَهُ لهم، ولم يتجاوزوا في الاعتقادِ به دائرةَ فروعِ العقيدةِ التي يسوغُ فيها الاختلافُ، حتَّى الذين قالوا بالتَّوَاتُرِ يَعْلَمُونَ أنَّها مسألةٌ فيها خِلَافٌ.

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٠ / ١٧٩ - ١٨٠).

وهناك تقسيم آخر للمُثبتين ذكره ابن القيم سيأتي في آخر الكتاب مفصلاً إن شاء الله، وهو يتقاطع مع ما ذكرناه في بعض بنوده ويُخالف في بعض.

وقصة المهدي وخروجه قد كُتِبَ فيها الكثير، ولو أراد أحد أن يجمع ما كُتِبَ في هذه المسألة لملاً أسفاراً، فرام العلامة القاري رحمه الله في هذا الكتاب تقريبها، وتلخيص ما ورد فيها، جامعاً في ذلك جملة كبيرة مما روي عن النبي ﷺ، وسماها:

«المشرب الوردى في مذهب المهدي»

وكان الدافع له إلى تأليفها - كما ذكر - سؤالاً وردّه من أحد الأعيان، عن المهدي الموعود في آخر الزمان، فابتدأ فيها بما شاع واشتهر، عن بعض رجال ذلك العصر، من أن المهدي عندما ينزل سيحكم بمذهب أبي حنيفة رحمه الله، ففند ما ذكر من ذلك، ثم بين الحق فيما هنالك، ومنها انطلق إلى عرض ما روي عن النبي ﷺ من أحاديث في هذه القصة.

وقد تعرّض في خلال ذلك لبعض المسائل التي وقع فيها الاختلاف، كالبحث في المهدي من نسل أيّ الحسنين هو، ورجح أن أباه حسني وأمه حسينية، مستدلاً بأدلة عقلية، وأخرى نقلية، لكنّ النقلية لا يخلو كل منها من علة قوية، وقد بيّناها في التعليقات بفضل ربّ البرية.

كما تعرّض لمسألة أخرى وقع فيها الخلاف، وهي ما روي عن بعض التابعين من تفضيل المهدي على أبي بكر وعمر، مائلاً في النهاية إلى التوقف في هذه المسألة. ولم ينس أن يعرج على ما نقل عن ابن عربي في «الفصوص»، ممّا يخالف المعقول والمنصوص، حيث قال: «إني خاتم الأولياء، ويستمد مني خاتم الأنبياء...»، ففنده وبيّن بطلانه.

كما تكلم عن الطائفة الغويّة المسمّاة بـ (المهدويّة) في دعوتهم: أن المهدي

الموعود هو شيخهم المشهود، ونَقَلَ الحُكْمَ بتكفيرهم عن الفقهاء من مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد ومالك، بعد أن كفروا أهل السنة لأنهم لم يعتقدوا بشيخهم المهدي الهالك.

ومن المسائل التي تعرّض لها أيضاً ما يتعلق بعيسى عليه السلام، فصَحَّحَ أَنَّهُ عليه السلام يُدفنُ في حُجْرَةِ نَبِيِّنا ﷺ، على خلافِ أَنَّهُ قَبْلَ الصَّدِيقِ أو بعد الفاروق، ولم يَذْكُرْ من الأثر دليلاً على ذلك، لكننا بفضلِ الله قد ذَكَّرْنَا ما رُوِيَ فيما هنالك.

كما أورد ما رُوِيَ في نزولِ عيسى عليه السلام من الأحاديث والآثار.

وفي هذا الكتاب عَدَا ما ذَكَّرْنَا من الفوائد الكثير من اللطائف والعوائد، التي ستظهر لمن يقرأ هذا الكتاب، الصَّغِيرَ في مُحْتَوَاهِ، الكَبِيرَ فيما ضَمَّه وَحَوَاهِ.

وقد اعتمد المؤلف في جانب من هذا الكتاب على رسالة الشيوطي: «العرفُ الوردِي في أخبارِ المَهْدِيِّ»، حيثُ إنَّ كثيراً ممَّا ذَكَرَهُ من أحاديث وآثار، أو حتَّى أقوالٍ للعلماء، منقولٌ منه، إلى حدِّ أَنَّهُ قد ينقلُ كلامه على أَنَّهُ هو القائل، كما جاء من قوله: «ثُمَّ وَقَفْتُ على سؤالٍ رُفِعَ إلى شيخِ الإسلامِ ابنِ حجرٍ العسقلاني، صورته: ما قولكم في قولِ سيِّدنا رسولِ الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ينزلُ عيسى ابنُ مريمَ في آخرِ الزَّمانِ حَكَمًا»، والعبارةُ نفسُها في «الحاوي»، حيث قال: «ثم بعد مدَّةٍ من كتابتي لهذا الجواب وَقَفْتُ على سؤالٍ رُفِعَ إلى شيخِ الإسلامِ ابنِ حجرٍ صورته: ما قولكم...»^(١).

وممَّا يُؤْخَذُ على المؤلف في هذه الرِّسالة أيضاً إثباته بعض الأحاديث الضَّعِيفَةِ أو الموضوعَةِ دون التَّنْبِيهِ عليها، كما سيظهر لك من خلالِ تخريجها، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

(١) انظر: «الحاوي للفتاوي» (٢/ ١٥٧).

وقد اعتمدنا فى تحقيق هذا الكتاب على أربع نُسَخٍ خطّيةٍ، وهى: نسخةُ الجامعة الإسلامية المرموزُ لها بـ «ج»، ونسخةُ مكتبة جامعة أم القرى المرموزُ لها بـ «د»، ونسخةُ فاضل أحمد ورمزُها: «ف»، ونسخةُ قونية ورمزُها: «و».

وقد وَقَعَ فى «د» سقطٌ طويلٌ نبّهنا على أوّله وآخِره كُلِّ فى مكانه. كما وَقَعَ فى النُّسخِ جميعاً سقطٌ بمقدارِ صَحيفَتينِ تقريباً، استدركناه من المصدرِ المنقولِ عنه، وهو «المنارُ المُنِيفُ» لابنِ القيمِ رحمه الله.

والحمدُ لله ربِّ العالمينَ

المحقّق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أوضح سُبُلَ^(١) الدِّين، باجتهادِ الأئمةِ المجتهدين، وجعلنا ببركاتِهِم من جُملةِ المهتدين، فلا مَهْدِيَّ إِلَّا مَنْ هَدَاه، ولا مَهْوِيَّ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَ هَوَاه بغيرِ هَدًى من الله.

والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَتَمَّانِ الْأَكْمَلَانِ فِي رَاتِبِ النَّهْيَةِ، عَلَى رَئِيسِ أَرْبَابِ الْهَدَايَةِ، وَسَيِّسِ أَصْحَابِ الْوَلَايَةِ، مِنْ أَهْلِ النَّهْيَةِ وَالْبَدَايَةِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَأَتْبَاعِهِ وَأَحْبَابِهِ، الَّذِينَ شَمَلَتْهُمْ الرَّعَايَةُ وَالْعَنَايَةُ، وَوَصَلَتْهُمْ الْحِمَايَةُ وَالْوِقَايَةُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فيقولُ أضعفُ عبادِ اللهِ القويِّ الباري، عليُّ بنُ سلطانِ محمَّدٍ الهرويُّ القاريُّ، عامَلَهُمَا اللهُ بِلَطْفِهِ الْخَفِيِّ، وَكَرَمِهِ الْوَفِيِّ: إِنَّهُ سَأَلَنِي بَعْضُ الْأَعْيَانِ، مِمَّنْ هُوَ بِمَنْزِلَةِ إِنْسَانِ الْعَيْنِ وَعَيْنِ الْإِنْسَانِ، عَنِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ الْمَهْدِيِّ الْمَوْعُودِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، بَلَّغْنَا اللهُ سُبْحَانَهُ إِلَى رُؤْيَيْتِهِ وَحُضْرَتِهِ، وَوَفَّقَنَا اللهُ لِمُتَابَعَتِهِ وَخِدْمَتِهِ فِي أَشْرَفِ الْمَكَانِ.

فَأَجَبْتُهُ: بِأَنِّي سَمِعْتُ الشَّيْخَ الْعَلَّامَةَ، وَالْمُفِيدَ الْفَهَامَةَ، الشَّيْخَ عَبْدَ اللهِ الْهِنْدِيَّ، الشَّهِيرَ بِـ (مَخْدُومِ الْمُلْكِ)^(٢) بَيْنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ، يَقُولُ بِطَرِيقِ الْمَنْقُولِ، عَنْ بَعْضِ

(١) فِي «د»: «سَبِيل».

(٢) هُوَ عَبْدُ اللهِ الْأَنْصَارِيُّ السُّلْطَانِبُورِيُّ الْهِنْدِيُّ، الْمَتَوَفَى مَسْمُومًا فِي سَنَةِ (١٠٠٦ هـ)، مِنْ تَصَانِيفِهِ: «عَفِيفَةُ الْأَنْبِيَاءِ»، وَ«كُشْفُ الْغَمَةِ عَنْ بَصَائِرِ الْأُئِمَّةِ»، وَ«مَنْهَاجُ الدِّينِ». انْظُرْ: «هُدْيَةُ الْعَارِفِينَ» (١/ ٤٧٣).

كتبِ الفروعِ أو^(١) الأصولِ: إِنَّ المَهْدِيَّ المعظَّم بعد ظهوره وانكشافِ نوره، يتبعُ مذهبَ أبي حنيفةَ الإمامِ المكرم، واشتهرَ هذا بين علماءِ العصر، وفضلاءِ الدهر، من غيرِ تصريحِ روايةِ نقلٍ، ولا تصحيحِ دلالةِ عقلٍ^(٢).

فأقول، وباللهِ وحوله أصولُ:

إِنَّ صاحبَ كُلِّ مذهبٍ، وطالبَ مشربٍ، بمقتضى قوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]، وبما عندهم مَرَحُونَ، وقد عَلِمَ كُلُّ أناسٍ مشربهم، وفي مقامِ الإيناسِ يَتَّبِعُونَ مذهبهم = له أَنْ يدَّعي ذلك، فلا خصوصيةَ له بأحدٍ هنالك؛ إِذْ من المعلومِ المقرَّر، والمفهومِ المعْتَبَر، أَنَّ المقلِّدَ يَتَّعِنُ عليه اعتقادُ أَنْ مقلِّده على الصَّواب، وغيره على الخطأ في هذا الباب.

ولذا^(٣) قال إمامُ الحرمين - بل قيل: إِنَّهُ مُفْتِي الثَّقَلَيْنِ - في رسالته المسماة بِـ «مغيثِ الخلقِ إلى الحقِّ»: إِنَّه يجبُ على العباد، في جميعِ البلاد، شرقاً وغرباً، وعجماً وعُرباً، أَنْ يكونوا على مذهبِ الإمامِ الشَّافعيِّ المُطَّلبيِّ، وأتى بكلماتٍ واهيةٍ لا تَخْفَى على العالمِ والغبيِّ، وقد أُجِبْتُ عنه في رسالةٍ مستقلةٍ بواضحاتِ الأدلَّة، فإذا كان الأمرُ على هذا التحقيقِ، فلا بُدَّ من إظهارِ مرجِّحٍ في مقامِ التَّوفيقِ.

فاعلم: أَنَّ المَهْدِيَّ إِذَا اختارَ التَّقْلِيدَ، ورضيَ بعدمِ التَّأْيِيدِ، فلا شكَّ أَنْ يكونَ على مذهبِ الإمامِ الأعظم، والهُمامِ الأقدم؛ لكونه في مقامِ الفقهِ أَفْضَلَ وأَعْلَمَ، بشهادةِ الإمامِ الشَّافعيِّ مع جلالته ونباهته، وكمالِ حَذَاقَتِهِ وفَقَاهَتِهِ، وإدراكِ أَكابرِ

(١) في «د» و«ج»: «و».

(٢) في «د»: «العقل».

(٣) في «ج»: «وكذا».

العلماء؛ كسفيان بن عُيينة من أجلاء التابعين، والإمام مالك وأحمد بن حنبل من الأئمة المجتهدين: أن الخلق كلهم عيال أبي حنيفة في فقه الدين، وبدلالة كون أكثر أهل الإسلام من أتباعه في القضايا والأحكام؛ إذ قد يُقال: إنهم ثلثا هذه الأمة بوصف الإجابة ونعت الإثابة، كما أن هذه الأمة ثلثا أصحاب الجنة بالنسبة إلى سائر الأمة من المؤمنين على ما ثبت به السنة، وقد ورد عنه عليه السلام: «عليكم بالسواد الأعظم»^(١).

هذا، وعندى على ما يخطر في خلدي: أنه يتبع الأحوط في المسائل الدينية والقضايا الشرعية كما عليه أكابر الصوفية، ولكن القول الأحق أنه يكون المجتهد المطلق؛ لأنه يظهر حال وجود كلام الله سبحانه في صدور القراء المكرمين، ووقت شهود الأخبار والآثار في سطور العلماء المحدثين؛ فإنه مع جلالة شأنه ورفعة قدره يبعد أن يكون مقلداً في عصره.

وقد ثبت أحاديث كثيرة وروايات شهيرة عنه عليه السلام، وشرف وكرم، مما هو صريح في عليّ مقامه وجليّ مرآته:

منها: قوله عليه السلام: «نحن سبعة ولد عبد المطلب، سادة أهل الجنة: أنا، وحمزة، وعليّ، وجعفر، والحسن، والحسين، والمهدي». رواه ابن ماجه وأبو نعيم عن أنس^(٢).

ومنها: قوله عليه السلام: «المهدي رجل من ولدي، وجهه كالكوكب

(١) رواه ابن ماجه (٣٠٥٩) من طريق أبي خلف الأعمى عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً به. قال البوصيري في «مصابيح الزجاجة» (٤ / ١٦٩): هذا إسناد ضعيف لضعف أبي خلف الأعمى واسمه حازم بن عطار.

(٢) رواه ابن ماجه (٤٠٨٧)، ولم أجده عند أبي نعيم، ورواه أيضاً الحاكم في «المستدرک» (٤٩٤٠) وصححه، فتعقبه الذهبي بقوله: هذا موضوع. وانظر: «الحاوي للفتاوى» للسيوطي (٥٥ / ٢)، وعنه نقل المؤلف.

الدُّرِّيَّ. رواه الرُّوْيَانِيُّ عن حُذَيْفَةَ^(١)، وصَحَّحَهُ الحَافِظُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ^(٢)، وهو ليس ابْنُ عَرَبِيٍّ^(٣) كما يتوَهَّمُهُ الجَاهِلُ الْغَبِيُّ.

ففي هذا الحديثِ أَجْمَلَ كَوْنَهُ مِنْ وَلَدِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفي روايةٍ أَوْضَحَهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ بِقَوْلِهِ: «المَهْدِيُّ مِنْ عِزَّتِي؛ مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ». كما رواه أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَهٍ وَالحَاكِمُ - بِسَنَدٍ صَحِيحٍ - عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٤).

وَاخْتَلَفَ فِي أَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ نَسْلِ أَيِّ الْحَسَنَيْنِ؟ وَإِنْ كَانَ ذُرِّيَّةُ كُلِّ مِنْهُمَا مَوْصُوفٌ بِنَعْتِ الْحَسَنَيْنِ^(٥)، وَيَحْتَمِلُ أَنْ أَبَاهُ حَسَنِيٌّ وَأُمُّهُ حُسَيْنِيَّةٌ^(٦)، أَوْ بِالْعَكْسِ. وَالْأَوَّلُ أَوْلَى كَمَا لَا يَخْفَى؛ بَلْ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْحَسَنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا تَرَكَ اللَّهُ الْخِلَافَةَ الصُّورِيَّةَ، عَوَّضَهُ اللَّهُ الْمَرْتَبَةَ الْقُطَيْبَةَ، وَجَعَلَ مِنْ نَسْلِهِ الْمَهْدِيَّ الَّذِي بِهِ خَاتَمُ الْخِلَافَةِ النَّبَوِيَّةِ.

وَيُؤَيِّدُهُ مَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ عَنْ عَلِيٍّ: أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ فَقَالَ: إِنَّ

(١) ورواه ابن الجوزي في «العلل» (١٤٣٩)، وهو خبر باطل كما قال ابن الجوزي.

قلت: فيه محمد بن إبراهيم بن كثير الصوري، قال الذهبي في «الميزان» (٤ / ٢٩): روى عن رواد ابن الجراح خبراً باطلاً أو منكراً في ذكر المهدي، ثم أورد له هذا الحديث.

(٢) هو العلامة، الحافظ، القاضي، أبو بكرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، الأَنْدَلُسِيُّ الْإِسْبِيلِيُّ الْمَالِكِيُّ، صاحبُ «التَّصَانِيفِ»، من مشايخه أبو حامد الغزالي، وأبو بكر الشاشي وغيرهما، توفي سنة (٥٤٣هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢٠ / ١٩٧).

(٣) يعني به الشيخ محمد بن علي بن محمد، الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بمحيي الدين بن عربي، صاحب «الفصوص»، و«الفتوحات المكية»، توفي سنة (٦٣٨هـ). انظر: «الأعلام» (٦ / ٢٨١).

(٤) رواه أبو داود (٤٢٨٤) واللفظ له، وابن ماجه (٤٠٨٦)، والحاكم (٨٦٧٢). قال البخاري في «التاريخ الكبير» (٣ / ٣٤٦): في إسناده نظر. وسيكرر في أواخر هذه الرسالة.

(٥) في «و»: «الحسينين»، والمثبت من «د»، ووقع في «ج» طمس في هذا الموضع.

(٦) في «و»: «حسيني»، والمثبت من «د»، ووقع في «ج» طمس في هذا الموضع.

ابني هذا سيّد كما سمّاه النَّبِيُّ ﷺ، وسيخرجُ رجلٌ من صُلْبِهِ يُسمّى باسم نبيّكم؛ يُشَبِّهُهُ فِي الْخُلُقِ^(١).

وَيُقَوِّيه ما أخرجَه نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ أَحَدُ شُيُوخِ الْبَخَارِيِّ، وَتَمَّامٌ فِي «فَوَائِدِهِ»، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ الْحَسَنِ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، لَوْ اسْتَقْبَلَ بِهِ الْجِبَالُ لَهَدَمَهَا وَاتَّخَذَ فِيهَا طُرُقًا^(٢).

وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ مِنْهُمَا هَذِهِ النَّسَبَةُ الْعَلِيَّةُ، بِالشَّرَكَةِ الْجَلِيَّةِ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ، عَنْ عَلِيِّ الْهَلَالِيِّ^(٣): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِفَاطِمَةَ: «وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ! إِنَّ مِنْهُمَا - يَعْنِي: مِنَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ - مَهْدِيَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ»^(٤).
بَلْ بَزِيَادَةُ بَقِيَّةِ الْأَنْسَابِ، الْمَعْتَبَرَةِ فِي مَرْتَبَةِ^(٥) الْأَحْسَابِ؛ لِمَا وَرَدَ: «إِنَّ الْمَهْدِيَّ مِنْ أَوْلَادِ الْعَبَّاسِ عَمِّي». كَمَا رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ فِي «الْأَفْرَادِ» عَنْ عَلِيٍّ^(٦).

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٢٩٠) مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَفِيهِ عِلَتَانِ: الْأُولَى إِبْهَامُ شَيْخِ أَبِي دَاوُدَ فِيهِ، وَالثَّانِيَةُ أَنَّ أَبَا إِسْحَاقَ - وَهُوَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّبْعِيِّ - رَأَى عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَمْ تَثْبُتْ لَهُ رَوَايَةٌ عَنْهُ.

(٢) رَوَاهُ نَعِيمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي «الْفَتَنِ» (١٠٩٥)، وَتَمَّامٌ فِي «فَوَائِدِهِ» (١١٤٧). قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي «الْمِيزَانِ» تَرْجُمَةَ الْحَجَّاجِ بْنِ الرِّيَّانِ: هَذَا مَوْقُوفٌ، وَهُوَ مُنْكَرٌ.

(٣) فِي «د»: «الْعَلَّاشِي»، وَفِي «و»: «الْبَلَالِي»، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ «ج»، وَهُوَ الصَّوَابُ.

(٤) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ» (٢٦٧٥). قَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي «مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ» (٩ / ١٦٦): فِيهِ الْهَيْثَمُ بْنُ حَبِيبٍ، قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: مُنْكَرُ الْحَدِيثِ، وَهُوَ مُتَّهَمٌ بِهَذَا الْحَدِيثِ.

(٥) فِي «ج»: «رَتَبَةٌ».

(٦) رَوَاهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «الْعُلَلِ» (١٤٣١) مِنْ حَدِيثِ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ: تَفَرَّدَ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ، قَالَ ابْنُ عَدِيٍّ: كَانَ يَضَعُ الْحَدِيثَ وَيُصْلِحُهُ، وَيَسْرِقُ وَيَقْلِبُ الْأَسَانِيدَ وَالْمَتُونَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحُسَيْنَ بْنَ أَبِي مَعْشَرٍ يَقُولُ: هُوَ كَذَّابٌ. وَلَمْ أَجِدْهُ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ، وَلَعَلَّ فِي نَسَبَتِهِ إِلَيْهِ وَهُمْ مِنَ الْمُؤَلَّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَدْ أَوْرَدَهُ ابْنُ طَاهِرٍ فِي «أَطْرَافِ الْغَرَائِبِ وَالْأَفْرَادِ» (١ / ١٦٥) مِنْ حَدِيثِ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فهذا جمعٌ من متفرقاتِ فهمي، والله سبحانه وتعالى أعلم، وبإتقانِ الأمورِ أحكمُ.
ومنها: قوله عليه السَّلامُ: «يُخْرِجُ الْمَهْدِيُّ وَعَلَى رَأْسِهِ مَلَكٌ يُنَادِي: إِنَّ هَذَا
الْمَهْدِيُّ، فَاتَّبِعُوهُ». أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ وَغَيْرُهُ عَنْ ابْنِ عَمْرٍ^(١).

وهذا يدلُّ على كمالِ عظمتِهِ، وجمالِ نُبُهَتِهِ، ورفعةِ مرتبَتِهِ، وَمَزِيَّةِ مَنْزِلَتِهِ.
ومنها: كما أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» مِنْ طَرِيقِ عَمْرِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عَلِيٍّ
ابْنِ أَبِي طَالِبٍ: أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَمِنَّا الْمَهْدِيَّ أَمْ مِنْ غَيْرِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: «بَلْ
مِنَّا؛ بِنَايَخْتُمُ اللَّهُ كَمَا بَنَّا فَتَحَ، وَبِنَا يُسْتَنْقَذُونَ مِنَ الشَّرِّ، وَبِنَا يُؤَلَّفُ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ بَعْدَ
عِدَاوَةِ الْفِتْنَةِ كَمَا أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ بَعْدَ عِدَاوَةِ الشَّرِّ»^(٢).

ومنها: قوله عليه السَّلامُ: «يُخْرِجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَقُولُ بِسُتِّي، يُنْزِلُ اللَّهُ لَهُ
الْقَطَرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ لَهُ مِنْ بَرَكَاتِهَا، يَمْلَأُ الْأَرْضَ مِنْهُ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا
مُلِئْتُ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَعْمَلُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ سَبْعَ سِنِينَ، وَيُنْزِلُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ». أَخْرَجَهُ
الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ»، وَأَبُو نُعَيْمٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ^(٣).
وفي روايةٍ لِأَبِي نُعَيْمٍ: «ثُمَّ لَا خَيْرَ فِي عَيْشِ الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَهْدِيِّ»^(٤).

(١) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٩٣٧)، والخطيب في «تلخيص المتشابه» (٤١٧ / ١). وفي
إسناده عبد الوهاب بن الضحاك، قال الذهبي في ترجمته في «الميزان» (٤٣٢ / ٤): كذبه أبو حاتم،
وقال النسائي وغيره: متروك.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٥٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣١٧ / ٧): فيه
عمرو بن جابر الحضرمي، وهو كذاب. ورواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٨٩) من طريق مكحول
عن علي رضي الله عنه، وهو منقطع، فإن مكحولاً لم يسمع من علي.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٠٧٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣١٧ / ٧): فيه
من لم أعرفهم.

(٤) قطعة من حديث رواه أبو نعيم في «صفة المهدي» من حديث ابن مسعود، كما في «عقد الدرر في
أخبار المنتظر» ليوסף بن يحيى السلمي (ص ٢٤٤).

ومنها: ما أخرجه الدارقطني في «سننه» عن محمد بن علي قال: إنَّ لمهدينا آيتين لم تكونا منذ خلق السماوات والأرض: ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان، وتنكسف الشمس في النصف منه^(١).

ومنها: ما أخرجه أبو نعيم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ «بينكم وبين الروم أربع هُدَن، يومُ الرَّابِعةِ على يد رجلٍ من أهلِ هِرَقْلَ يدومُ سبعَ سنينَ»، فقال له رجلٌ: يا رسولَ الله! مَنْ إمامُ النَّاسِ يومئذٍ؟ قال: «المهديُّ من ولدي؛ ابنُ أربعينَ سنةً، كأنَّ وجهه كوكبٌ دُرِّيٌّ، في خَدِّه الأيمنِ خالٌ أسودُّ، وعليه عَباءَتانِ قَطُوانيتانِ، كأنَّه من رجالِ بني إسرائيلَ، يَستخرجُ الكنوزَ، ويفتحُ مدائنَ الشُّركِ»^(٢).

ومنها: ما أخرجه الرُّويانيُّ في «مسنده» وأبو نعيم عن حذيفة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «المهديُّ رجلٌ من ولدي؛ لوْنُه لونُ عربيٍّ، وجِسْمُه جِسْمُ إسرائيلِيٍّ، على خَدِّه الأيمنِ خالٌ، كأنَّه كوكبٌ دُرِّيٌّ، يَمَلأُ الأرضَ عدلاً كما مُلئتُ جوراً، يرضى في خلافتِه أهلُ الأرضِ وأهلُ السَّماءِ والطَّيرُ في الجَوِّ»^(٣)^(٤). وفي رواية: «لا يُوقظُ نائماً، ولا يُهريقُ دماً»^(٥).

ومنها: ما أخرجه نعيم بن حماد عن أبي جعفر قال: يظهر المهديُّ بمكة عند

(١) رواه الدارقطني في «سننه» (١٧٩٥).

(٢) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (١٦٠٠)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣١٩ / ٧): فيه عنبة بن أبي صغيرة، وهو ضعيف. وقال الذهبي في «الميزان» (٣ / ٣٠٣) في ترجمة عنبة المذكور: «أتى عن الأوزاعي بخبر باطل». يريد هذا الحديث.

(٣) في «ج»: «الهواء». والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في المصادر.

(٤) رواه ابن الجوزي في «العلل» (١٤٣٩)، وهو خبر باطل تقدمت منه قطعة في أول الكتاب.

(٥) قطعة من حديثين، الأول رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (٩٩١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، والثاني رواه نعيم أيضاً (١٠٤٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

العشاء معه راية^(١) رسول الله ﷺ وقميصه وسيفه وعلاماتٍ ونورٍ وبيانٍ، فإذا صَلَّى العشاء نادى بأعلى صوته يقول: أَذْكُرْكُمْ اللهُ أَيُّهَا النَّاسُ وَمَقَامَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّكُمْ، فَقَدْ بَعَثَ الْأَنْبِيَاءَ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ، وَأَمَرَكُمْ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تُحَافِظُوا عَلَى طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَأَنْ تُحْيُوا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ، وَتُمْيتُوا مَا أَمَاتَ، وَتَكُونُوا أَعْوَانًا عَلَى الْهُدَى، وَوُزَرَاءَ عَلَى التَّقْوَى، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ دَنَا فَنَاؤُهَا وَزَوَالُهَا، وَأَذْنْتُ بِانْصِرَامٍ عَنْ إِقْبَالِهَا، فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى رَسُولِهِ، وَالْعَمَلِ بِكِتَابِهِ، وَإِمَاتَةِ الْبَاطِلِ، وَإِحْيَاءِ السُّنَّةِ. فَيُظْهِرُ فِي ثَلَاثِ مِائَةٍ وَثَلَاثَةِ عَشَرَ رَجُلًا عَدَدِ أَهْلِ بَدْرٍ، عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، رَهْبَانٌ بِاللَّيْلِ، أَسَدٌ بِالنَّهَارِ، يَفْتَحُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَهْدِيِّ أَرْضَ الْحِجَازِ، وَيُخْرِجُ مَنْ كَانَ فِي السَّجَنِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَتَنْزِلُ الرَّاياتُ السُّودُ الْكُوفَةُ، فَيُبْعَثُ بِالْبَيْعَةِ إِلَى الْمَهْدِيِّ، وَيُبْعَثُ الْمَهْدِيُّ جُنُودَهُ فِي الْأَفَاقِ، وَيُمِيتُ الْجَوَرَ وَأَهْلَهُ، وَتُسْتَقِيمُ لَهُ الْبُلْدَانُ، وَيَفْتَحُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدَيْهِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ^(٢).

ومنها: ما أخرجَه أيضاً عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إذا انقطعتِ التَّجَارَاتُ والطُّرُقُ، وكثُرَتِ الفتنُ، خرجَ سبعةُ نفرٍ علماء من أُنْفِقِ شَتَّى على غيرِ مِيعَادٍ، يُبَايِعُ لكلِّ رجلٍ منهم ثلاثُ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، حَتَّى يَجْتَمِعُوا بِمَكَّةَ، فَيَلْتَقِي السَّبْعَةُ فيقولُ بعضهم لبعضٍ: ما جاءَ بكم؟ فيقولون: جِئْنَا فِي طَلَبِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تَهْدَأَ عَلَى يَدَيْهِ هَذِهِ الْفِتْنُ وَيُفْتَحَ لَهُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، قَدْ عَرَفْنَاهُ بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَجَيْشِهِ، فَيَتَّفِقُ السَّبْعَةُ عَلَى ذَلِكَ، فَيَطْلُبُونَهُ فَيُصِيبُونَهُ بِمَكَّةَ، فيقولون له: أَنْتَ فُلَانُ ابْنِ فُلَانٍ؟ فيقول: بَلْ أَنَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، حَتَّى يُفْلِتَ مِنْهُمْ، فَيَصِفُونَهُ لِأَهْلِ الْخَيْرِ مِنْهُ وَالْمَعْرِفَةِ بِهِ، فيقال: هُوَ صَاحِبُكُمْ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ وَقَدْ لَحِقَ بِالْمَدِينَةِ، فَيَطْلُبُونَهُ بِالْمَدِينَةِ فَيُخَالِفُهُمْ إِلَى مَكَّةَ، فَيَطْلُبُونَهُ بِمَكَّةَ فَيُصِيبُونَهُ، فيقولون له: أَنْتَ فُلَانُ ابْنِ فُلَانٍ، وَأُمُّكَ

(١) في «و»: «مع راية»، وفي «ج»: «معه رداء».

(٢) رواه أبو نعيم في «الفتن» (٩٩٩).

فلانة ابنة فلان، وفيك آية كذا وكذا، وقد أفلت منّا مرة فمُدَّ يدك بُبايعك، فيقول: لستُ بصاحبكم، حتى يفلت منهم، فيطلبونه بالمدينة فيُخالفهم إلى مكة، فيُصيبونه بمكة عند الركن ويقولون له: إثمنا عليك ودماؤنا في عنقك إن لم تُمُدَّ يدك نبايعك، هذا عسكر السُفْياني قد توجّه في طلبنا، عليهم رجل من حرام، فيجلس بين الركن والمقام، فيمدُّ يده فيبايع^(١) له، فيُلقي الله تعالى محبته في صدور الناس، فيسير مع قوم أسد بالنهار، رهبان بالليل^(٢).

ومنها: ما أخرجه أيضاً عن أبي الطفيل: أن النبي ﷺ وصف المهدي، فوصف ثِقلاً في لسانه، وضرب فخذَه اليسرى بيده اليمنى إذا أبطأ عليه الكلام، اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي^(٣).

ومنها: ما أخرجه أيضاً عن عليّ عن النبي ﷺ، قال: «المهدي رجل من عترتي، ويُقاتل على سُنتي كما قاتلتُ أنا على الوحي»^(٤).

ومنها: ما أخرجه أيضاً عن كعب، قال: قادة المهدي خيرُ الناس، وأهل نُصرتِه وبيعته من أهل الكوفة واليمن وأبدال الشام، مقدّمته جبريل، وساقته ميكائيل، محبوب في الخلائق، يُطفئ الله تعالى به الفتنة العمياء، وتأمّن الأرض حتى إنّ المرأة لتُحجّ في خمس نسوة ما معهنّ رجل، لا تتقي شيئاً إلاّ الله، تُعطي الأرض نباتها والسّماء بركتها^(٥).

(١) وقع سقط طويل في النسخة «د»، وسنشير إلى نهايته في مكانه.

(٢) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٠٠)، وهو موقوف، وفي إسناده ابن لهيعة وهو سيح الحفظ.

(٣) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٦٩).

(٤) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٩٢) من حديث عائشة رضي الله عنها، وفي إسناده شيخ مبهم.

(٥) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٣٠) قال: «حدثنا الوليد عن حدثه وقرأه عن كعب قال: قادة المهدي...». وهو خبر ضعيف للإبهام في بعض رواه.

ومنها: ما أخرجه أيضاً عن كعب قال: إني أجد المهدي مكتوباً في أسفار الأنبياء: ما في عمله ظلم ولا عيب^(١).

ومنها: ما أخرجه أيضاً من طريق ضمرة، عن [ابن شاذب عن]، ابن سيرين: أنه ذكر فتنة تكون، فقال: إذا كان ذلك فاجلسوا في بيوتكم حتى تسبقوا^(٢) على الناس بخير من أبي بكر وعمر، قيل: يا أبا بكر! خير من أبي بكر وعمر؟ قال كان يفضل على بعض [الأنبياء]^(٣).

قال الحافظ السيوطي: وفي هذا ما فيه، وقد قال ابن أبي شيبة في «مصنفه» في باب المهدي: حدثنا أبو أسامة، عن عوف، عن محمد بن سيرين، قال: يكون في هذه الأمة خليفة لا يفضل عليه أبو بكر ولا عمر^(٤).

قال الحافظ: وهذا إسناد صحيح، وهذا اللفظ أخف من الأول. قال: والأوجه عندي: تأويل اللفظين على ما أول عليه حديث: «بل أجر^(٥) خمسين منكم»^(٦)؛ لشدة الفتن في زمان المهدي، وتمالؤ الروم بأسرها عليه، ومحاصرة الدجال له، وليس المراد بهذا التفضيل الرجوع إلى زيادة الثواب والرفعة عند الله تعالى؛ فالأحاديث الصحاح والإجماع على أن أبا بكر وعمر أفضل الخلق بعد النبيين والمرسلين^(٧).

(١) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٣٤).

(٢) في «الفتن» و«الحاوي»: «تسمعوا».

(٣) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٣٦)، وما بين معكوفتين منه، وهو ساقط من النسخ ومن «الحاوي» للسيوطي (٧٣ / ٢)، والنقل هنا عنه.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٦٥٠).

(٥) تحرفت في «و» و«د» و«ج» إلى: «آخر».

(٦) قطعة من حديث رواه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٠١٤) عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه، قال الترمذي: حسن غريب.

(٧) انظر: «الحاوي للفتاوي» للسيوطي (٧٣ / ٢) رسالة: «العرف الوردية في أخبار المهدي».

أقول: ولا يَبْعُدُ أَنْ يُتَوَقَّفَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ؛ لِعَدَمِ إِجْمَاعِ الْأُمَّةِ فِي خُصُوصِ هَذِهِ الْمَادَّةِ الْمُسْتَقْلَةِ مَعَ وُرُودِ: «أُمَّتِي كَالْمَطَرِ؛ لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ»^(١)، وَفِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠] إِشَارَةً لَطِيفَةً إِلَى رَفْعِ هَذِهِ الْغَمَّةِ.

ومنها: مَا أَخْرَجَهُ - أَيْضاً - عَنْ قَيْسِ بْنِ جَابِرٍ الصَّدْفِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «سَيَكُونُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مُلِئْتُ جَوْرًا، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ الْقَحْطَانِيُّ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا هُوَ دُونَهُ»^(٢).

وَأَخْرَجَ أَيْضاً عَنْ كَعْبٍ قَالَ: يَكُونُ بَعْدَ الْمَهْدِيِّ خَلِيفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ قَحْطَانَ أَخِي الْمَهْدِيِّ فِي دِينِهِ، يَعْمَلُ بِعَمَلِهِ، وَهُوَ الَّذِي يَفْتَحُ مَدِينَةَ الرُّومِ وَيُصِيبُ غَنَائِمَهَا^(٣).

ومنها: مَا أَخْرَجَهُ عَنْ أَرْطَاةَ، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ الْمَهْدِيَّ يَعِيشُ أَرْبَعِينَ عَامًا، ثُمَّ يَمُوتُ عَلَى فَرَاشِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ مَثْقُوبُ الْأُذُنَيْنِ عَلَى سِيرَةِ الْمَهْدِيِّ، بِقَاوُهُ عَشْرُونَ سَنَةً، ثُمَّ يَمُوتُ قَتِيلًا بِالسَّلَاحِ، [وَهُوَ آخِرُ أَمِيرٍ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ]، ثُمَّ يَخْرُجُ

(١) رواه الترمذي (٢٨٦٩) من حديث أنس رضي الله عنه، وقال: حديث حسن، غريب من هذا الوجه.

(٢) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١١٤٦) - ومن طريقه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢/ ٥٥٤) - عن الوليد بن مسلم، عن ابن لهيعة، عن عبد الرحمن بن قيس بن جابر الصدفي

عن النبي ﷺ. فهو على هذا مرسل. ورواه الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٧٤)، وأبو نعيم

في «معرفة الصحابة» (٢/ ٥٥٤)، من طريق الأوزاعي عن قيس بن جابر الصدفي، عن أبيه،

عن جدّه، عن النبي ﷺ. قال أبو نعيم: «هكذا رواه الأوزاعي عن قيس بن جابر عن أبيه عن

جده، ورواه ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن قيس بن جابر عن أبيه عن جده عن النبي قال،

نحوه... ولم يقل الوليد في رواية ابن لهيعة: عن أبيه عن جده، وذكره غيره». وقال الهيثمي

في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٩٠): «رواه الطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم».

(٣) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١١٩٠).

رجلٌ من أهل بيت النبي ﷺ، مهديٌ حسنُ السيرة، يغزو مدينةَ قيصَرَ، ثم يخرج في زمانه الدجال، وينزل في زمانه عيسى ابن مريم عليهما السلام^(١).

ومنها: قوله عليه السلام: «المهديُّ منّا أهل البيت، يُصلحه الله في ليلة». رواه أحمد وابن ماجه عن علي^(٢).

فصدرُ الحديث مُجْمَلٌ ما فَضَّلنا، وَمَحْمَلٌ ما فَضَّلنا، وأما ذيله من إصلاحه في ليلة، فيشير إلى أنه يُعطيه الله المرتبة القطبية، والمنقبة الاجتهادية الغوثية، بالجذبة الإلهية الفردانية، والوهمية^(٣) الصمدانية، لا بكسبه وجهده من تعلمه في مقام كده وجدّه، كما حصل هذه العناية لجده على ما ذكره الله سبحانه، وعظم شأنه وبرهانه: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا لَكُنْتُ وَلَا أَلَايَمُنُ﴾ [الشورى: ٥٢]؛ أي: تفاصيله في هذا الباب، ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]؛ فالمهديُّ في زمانه أفضل المهتدين^(٤)، وأكمل المجتهدين في أمور الدين.

ومنها: قوله عليه السلام: «المهديُّ مني، أجلي الجبهة، وأقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يملك سبع سنين». رواه أبو داود في «سننه»، والحاكم في «مستدركه»^(٥).

(١) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٢١٤)، وما بين معكوفتين منه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٨٤ / ١)، وابن ماجه (٤٠٨٥). ورواه أيضاً البخاري في «التاريخ الكبير» (٣١٧ / ١) وقال: في إسناده نظر.

(٣) في «د»: «والألوهية».

(٤) في «ج»: «المهتدين».

(٥) رواه أبو داود (٤٢٨٥) واللفظ له، والحاكم في «المستدرک» (٨٦٧٠). وجوّد إسناده ابن القيم في «المنار المنيف» (ص ١٤٤)، وسيأتي كلامه في آخر الرسالة. ورواه ابن الجوزي في «العلل» (١٤٤٠ - ١٤٤٣) من طرق أربعة ثم قال: «أما طريق أبي داود فلا بأس به».

وقال المنذري: في إسناده عمران القطان، وهو أبو العوام عمران بن داود القطان البصري، استشهد =

فقله عليه السلام: «المهديُّ مني» شهادةٌ منه على أنه من ذرِّيته وخاصَّة أمِّته في عمومٍ متابعته، ولذا قال عليه السلام: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»^(١).

وقوله: «أجلى الجبهة» - أي: واسع الجبين - إشارة إلى حسن صورته وسيرته، واستحسان عشرته مع عشيرته.

وقوله: «أقنى الأنف»: إشارة إلى جمال أرنبته، وإيماء إلى كمال أنفته^(٢)، وإشعاراً إلى مرتبة شجاعته، ومزية سخاوته، وعدم الالتفات إلى أموال رعيته، وفقد الرضا بالتقليد في مقام معرفته؛ لأنَّ من المعلوم استبعاد جميع الطوائف من أهل السنة والجماعة وطوائف المبتدعة - ولو كانوا من أهل الطاعة - أن يرضوا بأنَّه يكون مقلداً مثلاً لمذهب العلماء الحنفيَّة، وتاركاً مذاهب البقية بالكلية.

وقوله عليه السلام: «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»: إشارة إلى سعة دولته ومملكته، وإلى ظهوره في وقتٍ شدَّة حاجته.

وقوله: «يملك سبع سنين»؛ أي: قبل نزول عيسى عليه السلام؛ إذ بعده تنتقل إليه الأحكام؛ سواءً يكون المهديُّ موجوداً في عالم الحياة أو مفقوداً بالممات؛ إذ لا شك أنَّ عيسى بعد نزوله لم يفسخ عنه خلعة النبوة، وإن كان يُنسَخ عنه عباء الرسالة، فيُعلي أولاً آيات إعلانه ورايات مقامه في الحرمين الشريفين والمسجدين المُنيفين، ثم يتوجَّه إلى بيت المقدس والمحلِّ المنفَس؛ عملاً بقوله عليه السلام: «لا تُشدُّ الرِّحالُ إلَّا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»^(٣).

= به البخاري، ووثقه عفان بن مسلم، وأحسن عليه الثناء يحيى بن سعيد القطان، وضعفه يحيى بن معين والنسائي. انظر: «تحفة الأحوذى» (٦/ ٤٠٣).

(١) رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) في «ج»: «ألفته».

(٣) رواه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فرتَّب هذا التَّرتيبَ الأعلى، حيث يَبْدَأُ بِمَهَبِ بَدْءِ وحي المصطفى، ثم بدارِ الهجرة، ثم بالأرض^(١) المباركة بواسطة قدوم أصحابِ النبوة وأربابِ الرسالة، وفي جعلِ القضية عكسَ ما يقتضيه العقلُ من تقديمِ الأقدمية إيماءً إلى قوله عليه السلام: «نحن الآخرونَ السابقون»^(٢)؛ أي: الآخرونَ وجوداً في عالمِ الحسِّ والمبني، والسابقون شُهوداً في مقامِ الأنسِ والمعنى، كما يُشيرُ إليه قوله عليه السلام: «أولُ ما خلقَ اللهُ رُوحِي»^(٣)، وفي رواية: «نوري»^(٤). وقوله: «كنتُ نبياً وآدمُ بينَ الروح والجسد»^(٥).

ولقد أبعدَ الغزاليُّ في تفسيرِ هذا الحديثِ وتأويله، حيث قال: أي: كنتُ نبياً في علمِ اللهِ؛ لأنَّ بهذا المعنى لا مزيةَ له عمّا سواه من أربابِ الجاه؛ بل المعنى: أنَّه ﷺ كان نبياً فيما بين الأرواحِ سابقاً، كما وقعَ رسولاً في عالمِ الأشباحِ لاحقاً، فهو الأولُ والآخِرُ والباطنُ والظاهرُ في النسبِ الإضافيةِ بالنسبةِ إلى صفاتِ الإلهية؛ فإنَّها القديمةُ الأزليَّةُ بلا ابتداءٍ في الأوَّلِيَّةِ.

وأما قوله: مَنْ قال: جُمِلَةُ الأرواحِ قديمةٌ؛ كما قال بعضُ الحكماء، أو: أرواحُ الكُمَّلِ قديمةٌ؛ كما صرَّحَ به بعضُ الصُّوفيَّةِ السُّفهاءِ، فكفرُ صريحٌ ليس عنه تأويلٌ صحيحٌ عند أعلام العلماء.

(١) في «ج»: «بأرض».

(٢) قطعة من حديث رواه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) لم أجده.

(٤) عزاه ابن حجر الهيتمي في «الفتاوى الحديثية» (ص ٤٤) لعبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: قلت: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء؟ قال: «يا جابر! إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك محمد ﷺ من نوره...». ولم أجده مسنداً عند عبد الرزاق ولا عند غيره.

(٥) رواه الترمذي (٣٦٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: حسن صحيح، غريب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والحاصل: أنَّ المهديَّ وأتباعه وأصحابه وأشياعه يكونون في بيت المقدسِ فارغِ البال، إذ يظهرُ الأعورُ الدَّجَالُ، ومعه خلقٌ كثيرٌ من ضُلَّالِ الرِّجال، فيُحاصِرُ المهديَّ في مكانه، ويُضَيِّقُ عليه بعد ارتفاعِ شأنه في زمانه، إذ ينزلُ^(١) عيسى ابنُ مريمَ عليهما السَّلامُ في المنارةَ الشرقيَّةَ في مسجدِ الشَّامِ، ويتوجَّه إلى القدسِ لنُصرةِ أهلِ الإسلامِ، فيراه الدَّجَالُ اللَّعينُ، وكادَ أن يذوبَ كذوبانِ الملحِ في الماءِ، ويصيرَ كالطِّينِ، فيُصِيبُهُ بحَرْبَةٍ من عالمِ اليقينِ، ويقتله فيكونَ من الغازين^(٢)، ثم يَقْتُلُ مَنْ لم يَدْخُلْ في الإسلامِ ولم يَصِرْ من الفائزين، ويرفعُ الجِزْيَةَ ولم يقبلها من أحدٍ كما أخبرَ به سيِّدُ المرسلين، وهذا نسخٌ مُغيٍّ في هذه الأُمَّةِ، ظهرَ على يدِ خاتمِ أَصْفِيَاءِ الأئمةِ، لا أنَّه نسخٌ من عنده؛ فإنَّ دينه منسوخٌ بأصله؛ كسائرِ أديانِ الأنبياءِ، ولذا قال عليه السَّلامُ: «لو كان موسى حيًّا لَمَّا وَسَّعَهُ إِلَّا اتَّبَاعِي»^(٣)؛ أي: كما صارَ عيسى في آخرِ الأمرِ من اتَّباعي، وله المَزِيَّةُ على غيره من هذه الحيثيةِ، ولذا شُبِّهَ ﷺ بقلبِ عسكرِ المسلمينَ وجنودِ الموحِّدين، والأنبياءِ السَّابِقَةِ بمنزلةِ المقدَّمةِ، وعيسى في مرتبةِ الخاتمةِ اللاحقةِ المتمِّمةِ، وعلماءُ هذه الأُمَّةِ بمنزلةِ جناحِ اليمينِ، وعلماءُ سائرِ الأممِ في مرتبةِ جناحِ اليسارِ، مرتبتهم دون مرتبةِ الأوَّلِينَ.

ويؤيِّده ما وردَ صحيحَ المعنى، وإن كان موضوعَ المبنى: «علماءُ أمتي كأَنْبياءِ بني إِسرائيل»^(٤)، ويُقَوِّيه ما صحَّحَ من قوله عليه السَّلامُ: «العلماءُ ورثةُ الأنبياء»^(٥)؛ فإنَّه لا ريبَ أنَّ إرثَ الوارثِ يكونُ على قَدْرِ مالِ الموروثِ.

(١) في «ج»: «نزل».

(٢) كذا وقعت في النسخ، ولعل الصواب: «من الغابرين».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٣٨).

(٤) أورده الزركشي في «التذكرة في الأحاديث المشتهرة» (ص ١٦٦) وقال: لا يعرف له أصل. وأورده

المؤلف في «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» (ص ١٢٣) وقال: لا أصل له، كما قال

الدميري والزركشي والعسقلاني.

(٥) رواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، والإمام أحمد في «المسند» =

فلنصرف^(١) العَنَانَ إِلَى مَا كُنَّا فِي صَدَدِهِ مِنَ الْبَيَانِ، وَهُوَ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ قَتْلِهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَسَائِرِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ لَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، حَتَّى كَانَ الْحَجَرُ وَالشَّجَرُ يُنَادِي بِلِسَانٍ فَصِيحٍ، وَبَيَانٍ نَصِيحٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! هَذَا يَهُودِيٌّ مَخْفِيٌّ عِنْدِي؛ فَإِمَّا أَنْ يُسَلَّمَ، وَإِمَّا أَنْ يُقْتَلَ^(٢)، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩].

فِيَدْخُلُ عِيسَى فِي مَسْجِدِ الْقُدْسِ عِنْدَ ظَهْوَرِ صُبْحِ الْأُنْسِ، وَقَدْ أُقِيمَ الْإِقَامَةُ، فَيُشِيرُ الْمَهْدِيُّ إِلَيْهِ، فَيَمْتَنِعُ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: قَدْ أُقِيمَتْ لَكَ هَذِهِ الْإِقَامَةُ، وَأَنْتَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ قَائِمٌ بِوَصْفِ الْإِمَامَةِ، فَيُصَلِّي الْمَهْدِيُّ وَيَقْتَدِي بِهِ عِيسَى^(٣)؛ تَحْقِيقًا لِمَتَابَعَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، ثُمَّ يَكُونُ إِمَامًا فِي كُلِّ الْحَالَةِ.

وَمِمَّا يُؤَيِّدُ هَذِهِ الْمَقَالََةَ: قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ الَّذِي يُصَلِّي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ

= (٥ / ١٩٦) مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) فِي «ج»: «فَنَصْرِفُ».

(٢) رَوَى الْبُخَارِيُّ (٢٩٢٥ وَ ٢٩٢٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٩٢١)، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَرْفُوعًا: «تَقَاتِلُونَ الْيَهُودَ، حَتَّى يَخْتَبِيَ أَحَدُهُمْ وَرَاءَ الْحَجَرِ، فَيَقُولُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ! هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَأَقْتُلْهُ». وَرَوَى مُسْلِمٌ (٢٩٢٢) نَحْوَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَكِنْ لَيْسَ فِي الْحَدِيثَيْنِ تَصْرِيحٌ بِأَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الْمَخَاطَبُ بِذَلِكَ، وَلَا بِالتَّخْيِيرِ بَيْنَ الْإِسْلَامِ أَوْ الْقَتْلِ. وَكَذَلِكَ لَيْسَ فِيهِمَا تَصْرِيحٌ أَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ فِي وَقْتِ نَزُولِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَكِنْ هَذَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ عِنْدَ ابْنِ مَاجَه.

(٣) رَوَى مُعْنَاهُ مُسْلِمٌ (١٥٦) مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَفْظُهُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» قَالَ: «فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَوْا صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةً لِلَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةِ». وَرَوَى الْبُخَارِيُّ (٣٤٤٩)، وَمُسْلِمٌ (١٥٥ / ٢٤٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ».

خلفه». رواه أبو نعيم في «كتاب المهدي» عن أبي سعيد^(١)، وظاهره الإطلاق، إلا أن تعليقه يفيد التقييد؛ كما لا يخفى على أهل التوفيق والتأييد.

وأما قوله عليه السلام للعباس: «يا عم النبي^(٢)! إن الله ابتدأ الإسلام بي، وسيختمه بسلام من ولدك، وهو الذي يتقدم عيسى ابن مريم». رواه أبو نعيم في «الحلية» عن أبي هريرة^(٣)، فيحتمل تقدمه وجوداً، وتقدمه في منصب الإمامة شهوداً. ويؤيده ما في رواية الدارقطني في «الأفراد»، والخطيب، وابن عساكر، عن عمار بن ياسر، ولفظه: «يا عباس! إن الله ابتدأ هذا الأمر بي، وسيختمه بسلام من ولدك، يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً، وهو الذي يصلي بعيسى عليه السلام»^(٤). انتهى.

(١) رواه أبو نعيم في «مناقب المهدي» كما في «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص ٨٤)، وذكره ابن القيم في «المنار المنيف» (ص ١٤٧) عن أبي نعيم بإسناده، ثم قال: «هذا إسناد لا تقوم به حجة». وانظر التعليق السابق، ففيه من الصحيحين ما يشهد لمعناه. وسيكرر الحديث في أواخر هذه الرسالة.

(٢) كلمة: «النبي» ليست في «ج».

(٣) الذي رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣١٥) عن أبي هريرة أنه قال: خرج رسول الله ﷺ فتلَّقاهُ العباسُ فقال: «ألا أُبشِّرُك يا أبا الفضل؟»، قال: بلى يا رسول الله، قال: «إن الله عزَّ وجلَّ افتتح بي هذا الأمر، وبدرتِكَ يَخْتُمُهُ». وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف. أما لفظ المؤلف فرواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ٣٢٣-٣٢٤)، وابن الجوزي في «العلل» (١٤٣٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهو خبر كذب كما قال الذهبي في «الميزان» (٤/ ٢٨٤).

(٤) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ١١٧)، ومن طريقه وطريق الدارقطني رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٦/ ٣٥٠-٣٥١)، ومن طريق الخطيب رواه ابن الجوزي في «العلل» (١٤٣٧). قال ابن الجوزي: لا بأس بإسناده، وتعقبه الذهبي في «تلخيصه» فقال: بل هو باطل، فيه أحمد بن الحجاج بن الصلت وفيه جهالة وهو الآفة، وما رأيت لأحد فيه كلاماً. انظر: «تنزيه الشريعة» (٢/ ١١). وقال الذهبي في «الميزان» ترجمة أحمد بن الحجاج: والعجب أن الخطيب ذكره في «تاريخه» ولم يضعفه، وكأنه سكت عنه لانهتاك حاله.

وهو صادق أن يوجد مرةً أو مرّات، والله سبحانه أعلم بحقيقة الحالات، وإذا عرفت ذلك، تبين لك ممّا قرّرنا هنالك: أن قول ابن عربيّ في كتابه «الفُصوص»، المملوء من مخالفة النُصوص: إني خاتم الأولياء، ويستمدُّ منّي خاتم الأنبياء، ويستفيض منّي سائر الرُسل والأصفياء، باطلٌ من وجهين، كما أوضحته في الرسالة المعمولة للردّ على الوجوديّة القائلة بالعينيّة، بالأدلة القطعيّة.

ومجمّله هنا: أنّ دعواه أنّه خاتم الأولياء ظاهر البُطلان عند أعيان العلماء؛ لوجود عيسى عليه السّلام، وشهود المهديّ من أولياء الفخام، وكذا وجود كثير من الأولياء في حياته ومماته من فضلاء كرام، وهذا أمرٌ سهلٌ منه؛ فإنّ غايته أنّه كذبٌ محضٌ بالنسبة إلى دعواه الثّانية، فإنّه كفرٌ صريح، ليس له تأويلٌ صحيح. والعجب ممّن لم يعرف حقيقة إيمانه وحُسن خاتمته في شأنه كيف يدّعي مثل هذا من غير برهانه؟!

وأغربٌ من هذا أنّ بعض العلماء المعتبرين، والفضلاء المتبحّرين، ممّن تصدّى لشرح كلامه، لم يتعرّض لتصحيح مرامه، وكأنّه وافق مشربه، وطابق مذهبه. ثم من الغريب ما وقع في هذا القريب: أنّه سأل بعض أكابر الفخام، عمّن يزعم أنّه من علماء الأعلام^(١): هل ثبت أن المهديّ يُقلّد أبا حنيفة؟ فقال: نعم، رأيتُ في كتابين، ومع هذا سلّ بعض أصحابي، وخُلص أصحابي، فإنّه رأى رؤيا تدلّ على هذه المدّعى، وصورتها: أنّه رأى أولاً ثلاث قُببٍ هيئتها الصّغار، ثم رأى قُبّةً كبيرةً كثيرة الأنوار، غطّى^(٢) نورُ هذه القُبّة سائر القُبب في إِبصارِ الأبصار.

(١) في «و»: «الإسلام».

(٢) في «ج»: «عظم».

والحال أن المشار إليه لرؤية هذا المنام معروف عند الأنام؛ لأنه لو أخبر يقظة بشيء، لم يُصدِّقه أحد في هذه الأيام، فكيف يكون رؤياه صادقةً صالحةً للاستدلال في هذا المقام؟! فإنَّها على تقدير ثبوتها وصحَّتها من أضغاث الأحلام وخيالات الأوهام؛ كما يرى الهرُّ إذا نام في خيال البرِّ أنه يأكل اللحم أو يَمضغُ الشَّحم. وبهذا تبين أن الأمور الاعتقاديَّات لا يُتصوَّرُ ثبوتها بالأمور الظَّنِّيَّات، فضلاً عن المقالات الواهومات والمنمات الواهيات، وقس على هذا أقوال سائر الأنام في هذه الأيام.

فعليك بميزان الكتاب والسنة، إن كنت من أهل المعرفة وقابل المنة، وتريد أن تدخل الجنة، ويكون معرفتك الشتر من النار والجنة، وتصير محفوظاً من شرِّ الناس والجنة.

وقد ورد عنه عليه السلام أنه قال: «يوشك أن يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا يبقى من القرآن إلا رسمه، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى، علماؤهم شرُّ من تحت أديم السماء، من عندهم تخرج الفتنة، وفيهم تعود». رواه ابن عدي والبيهقي عن علي^(١).

وقد قال ابن جرير أحد الأَخيار في «تهذيب الآثار»: حدَّثني أبو حميد الحمصيُّ أحمدُ بن المغيرة، حدَّثنا عثمان بن سعيد، عن محمد بن مهاجر، حدَّثني الزُّبيديُّ، عن الزُّهريِّ، عن عروة، عن عائشة: أنها قالت: يا ويح لبيد! حيث يقول:

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (٤ / ٢٢٧) عن علي رضي الله عنه مرفوعاً وموقوفاً، ورواه البيهقي في «الشعب» (١٩٠٨) مرفوعاً، و(١٩٠٩) مرفوعاً وموقوفاً، وكلاهما من طريق عبد الله بن دكين، وروى ابن عدي عن ابن معين قال: عبد الله بن دكين ليس بشيء. وهو مع هذا منقطع كما قال البيهقي. ورواه البيهقي في «الشعب» (١٩١٠) من طريق آخر عن علي موقوفاً ثم قال: هذا موقوف، وإسناده إلى شريك [وهو ابن عبد الله النخعي] مجهول.

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيَتْ فِي خَلْفِ كَجِلِدِ الْأَجْرَبِ
قَالَتْ عَائِشَةُ: فَكَيْفَ لَوْ أَدْرَكَ زَمَانُنَا هَذَا؟! قَالَ عُرْوَةُ: رَحِمَ اللَّهُ عَائِشَةَ،
فَكَيْفَ لَوْ أَدْرَكَتْ زَمَانُنَا هَذَا؟! ثُمَّ قَالَ الزُّهْرِيُّ: رَحِمَ اللَّهُ عُرْوَةَ، فَكَيْفَ لَوْ أَدْرَكَ
زَمَانُنَا هَذَا؟! ثُمَّ قَالَ الزُّبَيْدِيُّ: رَحِمَ اللَّهُ الزُّهْرِيَّ، فَكَيْفَ لَوْ أَدْرَكَ زَمَانُنَا هَذَا؟!
وَهَكَذَا قَالَ كُلُّ مَنْ رَجَلَ السَّنَدَ إِلَى آخِرِهِ^(١).

وَأَنَا أَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَدْرَكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَمَنْ بَعْدَهُمْ زَمَانُنَا هَذَا.
وَمِنْ هُنَا مَا وَرَدَ عَنْ جَعْفَرِ الْأَحْمَرِ: سَأَلْتُ أَبَا حَنِيفَةَ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَأَجَابَ، فَقُلْتُ:
لَا يَزَالُ هَذَا الْمِصْرُ بِخَيْرٍ مَا أَبْقَاكَ اللَّهُ تَعَالَى، فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

خَلَّتِ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوِّدٍ وَمِنْ الشَّقَاءِ تَفَرَّدِي بِالسُّوِّدِ
وَعَنْ أَبِي يَوْسُفَ: أَنَّ الْإِمَامَ كَانَ يُنْشِدُ هَذَا الْبَيْتَ كَثِيرًا:
كَفَى حَزَنًا أَنْ لَا حَيَاةَ هَيَّئَةً وَلَا عَمَلٌ يَرْضَى بِهِ اللَّهُ صَالِحُ
انتهى.

وَقَدْ نُقِلَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُ قَالَ: لَقَدْ حَلَّتِ الْعُزْلَةُ فِي زَمَانِنَا. فَقَالَ الْغَزَالِيُّ:
فَإِنْ حَلَّتْ فِي زَمَانِهِ، لَقَدْ وَجِبَتْ فِي زَمَانِنَا. فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَأَقْرَانِنَا.

هَذَا، وَبِمَا حَرَّرْنَا فِي قَلَمِ الْبَيَانِ، مِمَّا قَرَّرْنَا فِي عِلْمِ التَّبَيُّانِ عَلَى وَجْهِ الْإِيقَانِ،
انْكَشَفَ بَطْلَانُ مَذْهَبِ الطَّائِفَةِ الْغَوِيَّةِ الْمَسْمُومَةِ بِ(الْمَهْدَوِيَّةِ) فِي دَعْوَتِهِمْ أَنَّ الْمَهْدِيَّ
الْمَوْعُودَ هُوَ شَيْخُهُمُ الْمَشْهُودُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ تَوَفَّى بِخُرَاسَانَ وَدُفِنَ هُنَاكَ، وَمِنْ كَمَالِ
تَعْصِبِهِمْ وَجَهْلِهِمْ: يُكْفَرُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ فِي إِنْكَارِهِمُ الْمَهْدِيَّ شَيْخَهُمْ، فَكَفَرُوا بِاتِّفَاقِ
الْعُلَمَاءِ كَمَا أَفْتَى فَقَهَاءُ عَصَرِنَا فِي مَكَّةَ مِنَ الْحَنْفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنْبَلِيَّةِ.

(١) رواه الطبري في «تهذيب الآثار» (٢٠٤ - مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه).

وكذا تبين بطلان مذهب الإمامية في قولهم: إنَّ المهديَّ هو ولدُ العسكريِّ، وإنَّه لم يمتْ، وإنَّه إمامُ زمانه وخليفةُ أوانه، من غير أن يأتوا ببرهانه، أو يطابقوا أحاديثه عليه السَّلام في شأنه.

وقد صرَّح القطبُ الرَّبَّانيُّ الشَّيخُ علاءُ الدَّولة السَّمنانيُّ^(١): أنَّ المهديَّ هذا صارَ من الأبدال، وغابَ عن أعين الرِّجال، ثم صارَ قُطباً وماتَ في تلك الحال، وتولَّى القُطبيَّة بعده أحدٌ من أرباب الكمال.

فتعيَّن الآن أن نُورِدَ بقيَّة ما وردَ في حقِّ المهديِّ من الأخبار؛ ليتبيَّن حاله لدى الأبرار والفجَّار، فنقول:

منها: قوله عليه السَّلام: «أُبشِّرُكم بالمهديِّ، رجلٌ من قريشٍ، من عِترتي، يخرجُ في أُمَّتِي في اختلافٍ من النَّاسِ وزِلْزَالٍ، فيملأُ الأرضَ قِسْطاً وعدلاً كما ملئتُ جوراً وظلماً، ويَرْضَى عنه ساكنُ السَّماءِ وساكنُ الأرضِ، ويقسُمُ المالَ صِحاحاً بالسَّويَّة، ويملأُ قلوبَ أُمَّةٍ محمَّدٍ غنى، ويسعُهم عدله، حتى إنَّه يأمرُ منادياً فينادي: مَنْ له حاجةٌ إلَيَّ فليأتني، فما يأتيه إلَّا رجلٌ واحدٌ، فيسأله فيقول: ائْتِ السَّادَن - أي: الخادمَ الخازنَ - حتى يُعطيك، فيأتيه فيقول: أنا رسولُ المهديِّ إليك لتعطيني مالاً، فيقول: احْثِ، فيَحْثِي فلا يستطيعُ أن يحمله، فيُلْقِي منه حتى يكونَ قدرُ ما يستطيعُ أن يحمله، فيخرجُ به، فيندمُ، فيقول: أنا كنتُ أجشعُ أُمَّةٍ محمَّدٍ نفْساً - أي: أحرصُ - كلَّهم دُعيَ إلى هذا المالِ فتركه غيري، فيردُّ عليه فيقول: إنَّا لا نقبلُ شيئاً أعطينا، فيلبثُ في ذلك ستّاً أو سبعاً أو ثمانياً أو تسعَ سنينَ، ولا خيرَ في الحياة بعده». رواه

(١) أحمد بن محمد بن أحمد، ركن الدين، من علماء الصوفية، شافعي مولده بسمنان (بين الريِّ والدماغان) ووفاته ببغداد، له مصنفات قيل: تزيد على ثلاث مئة، وكان كثير البر، من كتبه الباقية: «العروة لأهل الخلوة»، و «صفوة العروة» تناول فيه الآداب الشرعية وصيانة خلوات المتصوفة عن الشطحات والترهات المنسوبة إليهم، و «تحفة السالكين». توفي سنة (٧٣٦هـ). انظر: «الأعلام» (١/ ٢٢٣).

أحمدُ والباوردِيُّ وأبو نعيمٍ والترمذِيُّ عن أبي سعيد^(١)، والشَّكُّ من الرَّاوي، فلا ينافي ما تقدَّم من الجزمِ بالسَّبعِ.

ولعلَّه يعيشُ إلى آخرِ زمانٍ عيسى عليه السَّلامُ ليصحَّ قوله: «ولا خيرَ في الحياة بعده»، وقد ثبت أنَّ زمنَ عيسى أيضاً سبعُ سنينَ، فكأنَّهما يجتمعانِ حياةً ومماتاً. وأما روايةُ موتِ عيسى بعد أربعينَ سنةً، فمحمولٌ على مجموعِ عمره؛ لأنَّه رُفِعَ إلى السَّماءِ كهلاً وهو ابنُ ثلاثٍ وثلاثينَ، فالسَّبعُ يكونُ تكملةَ الأربعينَ. واللهُ الموفقُ والمعِينُ.

لكنْ جاءَ في روايةِ أحمدَ عن عائشة: أنَّ عيسى عليه السَّلامُ ينزلُ ويقتلُ الدَّجَّالَ، ويمكُثُ في الأرضِ أربعينَ سنةً إماماً عادلاً، وحَكماً مُقسِطاً^(٢).

وفي روايةِ الطَّبْرانيِّ عن عبدِ اللهِ بنِ مُغَفَّلٍ: «ثم ينزلُ عيسى ابنُ مريمَ مُصدِّقاً بمحمَّدٍ على ملَّتِه، إماماً مهدياً وحَكماً عادلاً، فيقتلُ الدَّجَّالَ»^(٣)، وهذا الحديثُ يدلُّ على إمامتِه وحكومَتِه بعد المهديِّ، ويُؤيِّدُه ما رواه مسلمٌ عن أبي هريرة: «كيف أنتم إذا نزلَ ابنُ مريمَ فيكم فأَمَّكم»^(٤).

وأما ما في «الصَّحيحينِ»: «كيف أنتم إذا نزلَ ابنُ مريمَ وإمامُكم منكم»^(٥)؛

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٧)، والترمذي (٢٢٣٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٠١).

ورواية الترمذي وأبي نعيم مختصرة. قال الترمذي: «حديث حسن». وفي رواية أحمد: العلاء بن بشير، قال عنه ابن المديني: مجهول، كما في «الميزان» (٣/ ١٠٧)، وذكر له الذهبي هذا الحديث.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٧٥)، وصححه ابن حبان (٦٨٢٢).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٥٨٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٣٦): رواه

الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، ورجاله ثقات، وفي بعضهم ضعف لا يضر.

(٤) رواه مسلم (١٥٥/ ٢٤٥).

(٥) رواه البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥/ ٢٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

فمعناه: أن عيسى منكم وداخل في أمتي معكم، أو محمول على ما تقدّم^(١)، والله أعلم. وفي رواية ابن عساكر: «إنَّ الدَّجَالَ يَقْتُلُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثُلَاثًا، وَيَهْزِمُ ثُلَاثًا، وَيُبْقِي ثُلَاثًا، وَيَجُنُّ عَلَيْهِمُ اللَّيْلُ، فيقولُ بعضُ المؤمنينَ لبعضٍ: ما تنتظرونَ إلَّا أن تلتحقوا بإخوانكم في مرضاة ربكم، مَنْ كان عنده فضلُ طعامٍ فليُعْذُ به على أخيه، وصلُّوا حين ينفجرُ الفجرُ وعجِّلوا الصَّلَاةَ، ثم أقبلوا على عدوكم، فلمَّا قاموا يُصلُّونَ نزلَ عيسى ابنُ مريمَ أمامهم، فصلَّى بهم..» الحديث^(٢).

وفي رواية لأحمد ومسلم عن جابر: «لا تزال طائفة من أمتي يُقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزلُ عيسى ابنُ مريمَ، فيقولُ أميرُهم: تعالَ صلِّ لنا^(٣)، فيقولُ: إلَّا إنَّ بعضكم على بعضٍ أميرٌ؛ تكرمهُ الله لهذه الأمة^(٤)، وقد تقدّم وجه الجمع بحيث انكشف الغمّة.

وأخرج ابنُ أبي شيبة في «مصنّفه»، عن ابن سيرين قال: المهديُّ من هذه الأمّة، وهو الذي يؤمُّ عيسى ابنُ مريمَ عليه السّلام^(٥).

يعني: أوّل مرّة؛ لما أخرجَه ابنُ ماجه وابنُ خزيمة والحاكم وأبو عوَّانة وأبو نُعيم واللفظُ له، عن أبي أُمّة قال: خطبنا رسولُ الله ﷺ، فذكرَ الدَّجَالَ، فقالت أُمُّ شريك: فأين العربُ يا رسولَ الله؟! قال: «هم يومئذٍ قليلٌ، وجُمَلُهم ببيت المقدس، وإمامُهم المهديُّ؛ رجلٌ صالحٌ، فبينما إمامُهم قد تقدّم يُصلِّي بهم الصبح، إذ نزلَ عيسى ابنُ

(١) انظر ما تقدم من الكلام في إمامة المهدي لعيسى عليه السلام.

(٢) قطعة من خبر رواه ابن منده في «الإيمان» (١٠٣٣)، والحاكم في «المستدرک» (٨٥٠٧)، من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٣) في «ج»: «بنا».

(٤) رواه مسلم (١٥٦)، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٨٤).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٦٤٩).

مريم الصُّبْح، فرجع ذلك الإمام ينكصُ يمشي القَهْقَرَى ليتقدَّم عيسى، فيضع عيسى يديه بين كتفيه ثم يقول له: تقدَّم؛ فإنَّها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم^(١).

وقد صحَّ: أنَّ عيسى عليه السَّلامُ يُدفنُ في حُجْرَةِ نَبِيِّنا ﷺ^(٢)، على خلافٍ أنَّه قبل الصَّدِيقِ أو بعد الفاروق، فالأوَّلُ أقربُ إلى الأدب؛ لكونه نبياً في الحَسَب؛ فالنَّبِيَّانِ ثم الوليَّانِ، والثَّانِي لتعظيم الشَّيْخَيْنِ أنسب؛ ليكونا مكتوفين بين النَّبِيِّينَ، وكَفَى به لهما شرفاً وفضلاً وفخراً ونُبلاً؛ إذ ما اتَّفَقَ نظيره لأحدٍ من الثَّقَلَيْنِ.

وأما ما اخترعه الشَّيْعَةُ من البِدْعَةِ الشَّنيْعَةِ، وهو جعلُ تابوتِ آدَمَ ونوحٍ عليهما السَّلامُ في مقبرةِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهه، فليس له وجهٌ وَجِيهٌ ولا تنبيهٌ نبيهٌ من وجهين: أحدهما: أنَّ قبرَ عليٍّ نفسه غيرُ ثابتٍ في ذلك المقام، وإنما أقدمَ أحدُ علي

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٧٧) واللفظ له، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٥٩)، والحاكم في «المستدرک» (٨٦٢٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٠٨).

(٢) لم يرد في هذا خبر مرفوع عن النبي ﷺ يحتج به، فقد روى الترمذي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: مكتوبٌ في التَّورَةِ صِفَةُ مُحَمَّدٍ وَصِفَةُ عِيسَى بن مَرْيَمَ يُدفنُ معه. قال: فقال أبو مؤدودٍ [أحدُ رُواته]: وقد بقيَ في البيتِ مَوْضِعُ قَبْرِ. قال الترمذي: «هذا حديثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ». قال المباركفوري في «تحفة الأحوذِي» (١٠/ ٦٢): «ويؤيده ما روي عن عائشة في حديث قال الحافظ: لا يثبت، أنها استأذنت النبي ﷺ إن عاشت بعده أن تدفن إلى جانبه، فقال لها: «وَأَتَى لِكَ بِذَلِكَ وليس في ذلك الموضعِ إلا قَبْرِي وقَبْرُ أَبِي بَكْرٍ وعمر وعيسى بن مريم». وفي «أخبار المدينة» من وجه ضعيف عن سعيد بن المسيب قال: إن قبور الثلاثة في صفة بيت عائشة، وهناك موضع قبر يدفن فيه عيسى عليه السلام». وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٩٩): «وقد ورد في ذلك حديث ذكره ابن عساكر في آخر ترجمة المسيح عليه السلام في كتابه عن عائشة مرفوعاً: أنه يدفن مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر في الحجرة النبوية، ولكن لا يصح إسنادُه». وروى ابن الجوزي في «العلل» (١٥٢٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «ينزل عيسى ابن مريم إلى الأرض فيتزوج ويولد ويمكث خمساً وأربعين سنة ثم يموت فيدفن معي في قبري فأقوم أنا وعيسى ابن مريم من قبر واحد بين أبي بكر وعمر». قال ابن الجوزي: «هذا حديث لا يصح».

عَمَارَتِهِ بِمَجَرَّدِ الْمَنَامِ؛ كَمَا فِي قُبَّةِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةَ الْكُبْرَى فِي صَدْرِ الْمُعَلَّى مِنْ بَلَدِ اللَّهِ الْحَرَامِ.

وثنائيهما: أَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ تَعْيِينُ قَبْرِ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ غَيْرَ قَبْرِ نَبِيِّنَا ﷺ وَشَرَفَ وَكَرَّمَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُ شَمْسُ الْمَنَاقِبِ فِي الصُّحَى، وَغَيْرُهُ بِمَنْزِلَةِ الْكَوَاكِبِ فِي لَيْلَةِ الدُّجَى، نَعَمْ قَبْرُ حَضْرَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ ثَابِتٌ فِي تِلْكَ الْقَرْيَةِ، وَأَمَّا تَعْيِينُ مَوْضِعِ قَبْرِهِ فَمِنْ الْفَرْيَةِ.

هَذَا، وَمَنْ الْأَلْغَازِ فِي مَقَامِ الْإِيْجَازِ: أَيُّ شَخْصٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَفْضَلُ مِنَ الشَّيْخَيْنِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ؟

فَيُقَالُ: عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ غَيْرِ الشَّكِّ وَالشُّبْهَةِ.

وَمِنْهَا: قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ، فَيُخْرَجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَارِبًا إِلَى مَكَّةَ، فَيَأْتِيهِ أَهْلُ مَكَّةَ فَيُخْرِجُونَهُ وَهُوَ كَارُهُ فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ مِنَ الشَّامِ، فَيُخَسَفُ بِهِمْ بِالْبَيْدَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ، أَتَاهُ أَبْدَالُ الشَّامِ وَعَصَائِبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَيُبَايِعُونَهُ، ثُمَّ يَنْشَأُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَخُوهُ كَلْبٌ، أَيْ: بَنُو كَلْبٍ؛ وَهُمْ قَبِيلَةٌ عَظِيمَةٌ، فَيُبْعَثُ إِلَيْهِمْ بَعْثًا فَيُظْهِرُونَ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ بَعْثُ كَلْبٍ، وَالْخِيبةُ لِمَنْ لَمْ يَشْهَدْ غَنِيمَةَ كَلْبٍ، فَيَقْسَمُ الْمَالُ، وَيَعْمَلُ فِي النَّاسِ بَسْنَةً نَبِيَّهُمْ، وَيُلْقِي الْإِسْلَامَ بِجِرَانِهِ إِلَى^(١) الْأَرْضِ، فَيَلْبِثُ سَبْعَ سِنِينَ ثُمَّ يَتَوَفَّى، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ^(٢).

وَفِي قَوْلِهِ: «يَعْمَلُ بَسْنَةً نَبِيَّكُمْ» إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِمَقْلَدٍ لِأَحَدٍ؛ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ

(١) فِي «د»: «فِي».

(٢) رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٦ / ٣١٦) (٢٦٦٨٩)، وَأَبُو دَاوُدَ (٤٢٨٦)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٨٣٢٨). وَسِيرِدَ فِي أَوَاخِرِ الرِّسَالَةِ الْكَلَامَ عَلَيْهِ.

المحدثين؛ بل إنما هو مجتهدٌ عاملٌ بالكتابِ والسُّنَّةِ بحسب ما يظهرُ له من الضَّعْفِ والقوَّةِ والصَّحَّةِ.

ومنها: قوله عليه السَّلامُ: «يكونُ في آخرِ أُمَّتي خليفةٌ يقسمُ المالَ ولا يُعْده». رواه أحمدٌ ومسلمٌ عن أبي سعيدٍ وجابرٍ^(١).

وفي روايةٍ لأحمدَ ومسلمٍ عن جابرٍ: «يكونُ في آخرِ أُمَّتي خليفةٌ يَحْثِي المالَ حَثِيًّا، ولا يُعْده عدًّا»^(٢).

ومنها: قوله عليه السَّلامُ: «إذا رأيتُم الرَّاياتِ السودَ قد جاءتُ من قِبَلِ خُرَاسَانَ فأتوها؛ فَإِنَّ فيها خليفةَ اللهِ المَهْدِيَّ». رواه أحمدٌ في «مسنده» عن ثوبانٍ^(٣).

وفي سوادِ الرَّايةِ إيماءٌ إلى أَنَّهُ من العبَّاسيَّةِ، كما بيَّن في محلِّه ما وردَ في فضله. ثم مجيئُها من قِبَلِ خُرَاسَانَ، وكونُه فيها، لا يُنافي ما تقدَّم من بدءِ ظهوره ممَّا بين الرُّكنين؛ فَإِنَّهُ إمَّا محمولٌ على إتيانه إلى الحَرَمِ ثانيًّا، أو بالنِّسبةِ إلى غيرهم، أو يكونُ حينئذٍ استقبلهم ودخلَ معسكرهم، والأوسطُ هو الأوسطُ، ويؤيِّده روايةُ أحمدَ والترمذيِّ، عن أبي هُرَيْرَةَ: «يُخْرِجُ من خُرَاسَانَ رِايَاتُ سودَ، فلا يَرُدُّها شيءٌ حتَّى تُنْصَبَ بِإِيلِيَاءَ»^(٤).

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٨)، ومسلم (٢٩١٤/ ٦٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٨)، ومسلم (٢٩١٤/ ٦٨)، كلاهما من حديث أبي سعيد لا من حديث جابر.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٧٧) (٢٢٣٨٧)، وانظر الكلام عليه في التعليق على «المسند»، ط الرسالة. وسيعاد في أواخر هذه الرسالة.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٦٥) (٨٧٧٥)، والترمذي (٢٢٦٩) وقال: «حديث غريب». وإسناده ضعيف جداً. انظر الكلام عليه في التعليق على «المسند».

وفي رواية الحاكم والديلمي عن ثوبان: «إذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي»^(١).

ويقويه قوله عليه السلام: «إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون من بعدي بلاءً وتشريداً وتطريداً، حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود، فيسألون الحق فلا يعطونه، فيقاتلون، فينصرون، فيعطون ما سألوا، فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، فيملك الأرض، فيملأها قسطاً وعدلاً كما ملؤها جوراً وظلماً، فمن أدرك ذلك منكم أو من أعقابكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج؛ فإنها رايات هدى». رواه الحاكم، عن ابن مسعود^(٢).

وفي إطلاق (خليفة الله) عليه دلالة واضحة على علو شأنه ورفعة مكانه، وهو أصرح في تعظيم أمره من قوله تعالى في حق آدم عند ذكره: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، ومن قوله سبحانه: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ الآية [ص: ٢٦].

والحاصل: أن هذا منقبة عليّة، ومرتبة جليّة، وربما يكون المهدي أفضل من الصديق من هذه الحيثية؛ فإنه يقال له: خليفة رسول الله، لا خليفة الله، ولما تولى عمر الخلافة، ولم يصدق عليه أنه خليفة رسول الله؛ لعدم صدقه عليه في المعنى، ولو قيل: خليفة خليفة رسول الله، لطال المبنى = قالوا له: أمير المؤمنين، فهو أول من لقّب به، كما أوضحته في «شرح الأربعين».

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٨٤٣٢)، والديلمي في «الفردوس» (٢ / ٣٢٣). ورواه أيضاً ابن ماجه (٤٠٨٤).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرک» (٨٤٣٤)، ورواه أيضاً ابن ماجه (٤٠٨٢). قال ابن القيم في «المنار المنيف» (ص ١٥٠): وفي إسناده يزيد بن أبي زياد وهو سيئ الحفظ اختلط في آخر عمره. وسيكرر في أواخر هذه الرسالة.

وَمِمَّا يُؤَيِّدُ مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ: قَوْلُهُ ﷺ: «لَنْ تَهْلِكَ أُمَّةٌ أَنَا فِي أَوَّلِهَا، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فِي آخِرِهَا، وَالْمَهْدِيُّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فِي أَوْسَطِهَا». رواه أَبُو نَعِيمٍ وَابْنُ عَسَاكَرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(١).

وَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا يَزْدَادُ الْأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً، وَلَا الدُّنْيَا إِلَّا إِدْبَارًا، وَلَا النَّاسُ إِلَّا شُحًّا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شَرَارِ النَّاسِ، وَلَا مَهْدِيٌّ إِلَّا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ»^(٢). فالمرادُ بِالْمَهْدِيِّ معناه اللُّغَوِيُّ، وَالتَّقْدِيرُ: لَا مَهْدِيَّ كَامِلًا مَعْصُومًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ إِلَّا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ أَخْرَجَ نَعِيمُ بْنُ حَمَّادٍ عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مَسْلَمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا يُحَدِّثُ قَوْمًا فَقَالَ: الْمَهْدِيُّونَ ثَلَاثَةٌ: مَهْدِيٌّ الْخَيْرِ: عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَمَهْدِيٌّ الدِّمِّ: وَهُوَ الَّذِي تَسْكُنُ عَلَيْهِ الدِّمَاءُ، وَمَهْدِيٌّ الدِّينِ: وَهُوَ عِيسَى، تَسْلَمُ أُمَّتُهُ فِي زَمَانِهِ^(٣). ومنها: قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا وَلَا تَنْقُضِي حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي»^(٤).

وَفِي رِوَايَةٍ: «وُخْلِقَ خُلُقِي»^(٥)، وَهُوَ يَحْتَمِلُ الْفَتْحَ وَالضَّمَّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَالحديثُ رواه أحمدُ وأبو داودَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ^(٦).

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ٣٩٤-٣٩٥).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٠٣٩)، والحاكم في «المستدرک» (٨٣٦٣)، وابن الجوزي في «العلل» (١٤٤٧) وقال: قال أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي: هذا حديث منكر. وسيأتي في أواخر هذه الرسالة تفصيل الكلام فيه.

(٣) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٤٣).

(٤) رواه أبو داود (٤٢٨٢)، والتِّرْمِذِيُّ (٢٢٣٠)، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٧٧)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. قال التِّرْمِذِيُّ: حسن صحيح.

(٥) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٨٢٥).

(٦) تقدم تخريجه.

وفي رواية للترمذيّ بسندٍ صحيحٍ عنه، ولفظه: «يَلِيَّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَلَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَلِيَّ»^(١).

وفي رواية: «اسْمُهُ اسْمُ أَبِي، واسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي، فَيَمْلُؤُهَا عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، فَلَا تَمْنَعُ السَّمَاءُ شَيْئًا مِنْ قَطْرِهَا، وَلَا الْأَرْضُ شَيْئًا مِنْ نَبَاتِهَا مَدَّةً مَا يُمْكُثُ فِيهَا»^(٢).

ومنها: قوله عليه السَّلامُ: «فِي ذِي الْقَعْدَةِ تَجَاذِبُ الْقَبَائِلُ، وَعَامَّةٌ يُنْهَبُ الْحَاجُّ، فَتَكُونُ مَلْحَمَةٌ بِمَنَى، حَتَّى يَهْرَبَ صَاحِبُهُمْ، فَيُبَايِعُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ وَهُوَ كَارَةٌ، فَيُبَايِعُهُ مِثْلُ عِدَّةِ أَهْلِ بَدْرٍ، يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ». رواه الحاكمُ وغيره عن عمرو بن شعيبٍ، عن أبيه، عن جدّه^(٣).

ورواه أبو نُعيمٍ عن شهر بن حوشبٍ مرسلًا: أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «يَكُونُ فِي رَمَضَانَ صَوْتُ، وَفِي شَوَّالٍ هَمْهَمَةٌ، وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ تَتَحَارَبُ الْقَبَائِلُ، وَفِي ذِي الْحِجَّةِ يُنْهَبُ الْحَاجُّ، وَفِي الْمَحَرَّمِ يُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَلَا إِنَّ صَفْوَةَ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ فَلَانٌ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا»^(٤)^(٥).

(١) رواه الترمذي (٢٢٣١) وقال: حسن صحيح.

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٧٧٠)، ومن طريقه الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٢٥٣)، وفي إسناده أبو هارون العبدى، قال الذهبي: أبو هارون وإ. ورواه البزار في «مسنده» (٣٣٢٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩ / ٣٢) من حديث قرة بن إياس رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧ / ٣١٤): رواه البزار والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» من طريق داود بن المحبر بن قحذم عن أبيه، وكلاهما ضعيف.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرک» (٨٥٣٧)، وقال الذهبي: سنده ساقط.

(٤) زاد في «ق»: «وأطيعوه».

(٥) رواه الطبري في «تهذيب الآثار» (٦٨٩ - الجزء المفقود).

وعن قتادة قال: كان يُقال: إنَّ المهديَّ ابنُ أربعين سنةً. رواه ابنُ عساكر^(١).
وعن عليٍّ قال: المهديُّ مولدُه بالمدينة، من أهل بيت النبوة، واسمُه اسمُ النَّبيِّ، ومُهاجرُه بيتُ المقدس، كَثُ اللَّحْيَةِ، أَكْحَلُ الْعَيْنَيْنِ، بَرَّاقُ الثَّنَايَا، فِي وَجْهِهِ خَالٌ، فِي كَتِفِهِ عَلَامَةُ النَّبِيِّ، يَخْرُجُ بِرَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ مِرْطِ مُعَلِّمَةٍ سَوْدَاءَ مَرْبَعَةٍ، فِيهَا حَجَرٌ، لَمْ تُنْشَرْ مِنْذُ تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَا تُنْشَرُ حَتَّى يَخْرُجَ الْمَهْدِيُّ، يُمِدُّهُ اللَّهُ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَضْرِبُونَ وَجْهَهُ مِنْ خَالَفَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ، يُبْعَثُ وَهُوَ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِينَ إِلَى الْأَرْبَعِينَ. رواه نُعَيْمُ بْنُ حَمَادٍ^(٢).

فَتَأَمَّلْ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى تَعْظِيمِ الْمَهْدِيِّ مِنْ جِهَةِ الدَّرَايَةِ.
وعن عمر بن الخطَّاب: أَنَّهُ وَدَّعَ الْبَيْتَ وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَدْعُ خَزَائِنَ الْبَيْتِ وَمَا فِيهِ مِنَ السَّلَاحِ وَالْمَالِ، أَمْ أَقْسِمُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: امْضِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَسْتَ بِصَاحِبِهِ، إِنَّمَا صَاحِبُهُ مَنَّا شَابٌّ مِنْ قَرِيشٍ يَقْسِمُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ. رواه أَبُو نُعَيْمٍ^(٣).

وعن عليٍّ قال: لَيَخْرُجَنَّ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِي عِنْدَ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ حِينَ تَمُوتُ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا تَمُوتُ الْأَبْدَانُ؛ لِمَا لَحِقَهُمْ مِنَ الشَّدَّةِ وَالضَّرِّ وَالْجُوعِ وَالْقَتْلِ، وَتَوَاتُرِ الْفِتَنِ وَالْمَلَا حِمِ الْعِظَامِ وَإِمَاتَةِ الشُّنَنِ وَإِحْيَاءِ الْبِدَعِ وَتَرْكِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَيُحْيِي اللَّهُ بِالْمَهْدِيِّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الشُّنَنِ الَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ، وَيَسْرُّ بَعْدِلِهِ وَبِرَكَتِهِ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَتَأَلَّفُ إِلَيْهِ عُصَبٌ مِنْ

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٥ / ١٨٧)، ورواه أيضاً نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٦٧).

(٢) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٧٣)، وفي إسناده انقطاع.

(٣) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٥٤)، وفي إسناده إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله، وهو

ضعيف كما في «التقريب».

العجم وقبائل من العرب، فَيَقَى على ذلك سنين ليست بالكثيرة دون العشرة ثم يموت. رواه ابنُ المنادي في «الملاحم»^(١).

وعن عليّ قال: وَيَحَا لِلطَّالِقَانِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ فِيهَا كَنُوزاً ليست من ذهبٍ ولا فضةٍ، ولكن بها رجالٌ عرفوا الله حق معرفته، وهم أنصارُ المهديّ آخرَ الزَّمانِ. رواه أبو غنم الكوفيُّ في كتاب «الفتن»^(٢).

قلتُ: وقد جاء أنَّ أكثر أنصارِ الدَّجَالِ من أَصْفَهَانِ^(٣)، وفيه تنبيهٌ على أنَّ أنصارَ المهديّ أهلُ السُّنَّةِ والجماعة، وأنصارُ الدَّجَالِ أهلُ الكفرِ والبدعة.

وعن عليّ قال: قال النَّبِيُّ ﷺ: «يُخْرِجُ رَجُلٌ مِمَّا وَرَاءَ النَّهْرِ يُقَالُ لَهُ الْحَارِثُ، حَرَّاثٌ عَلَى مَقْدَمَتِهِ^(٤) رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: الْمَنْصُورُ، يُوْطَّى أَوْ يُمَكَّنُ لَالٍ مُحَمَّدٍ كَمَا مَكَّنْتُ قَرِيشٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَجَبَ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ نَصْرُهُ»، أَوْ قَالَ: «إِجَابَتُهُ». رواه أبو داود^(٥).

وفيه إشعارٌ إلى أنَّ أهلَ ما وراءَ النَّهْرِ مُحِبُّونَ لِأَهْلِ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، لا كما يزعمُ الرَّافِضَةُ أَنَّهُمُ الْخَارِجِيَّةُ، ولقد أحسنَ العَلَّامَةُ التُّورِيشْتِيُّ في كتابه «المُعْتَمَدُ فِي الْمُعْتَقَدِ»: أَنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ جَعَلَ أَهْلَ السُّنَّةِ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ وَالَّذِينَ الْقَوِيمِ، وَأَهْلُ الْبِدْعِ انْحَرَفُوا عَنْهُ إِلَى يَمِينِ الطَّرِيقِ وَيسَارِهَا؛ لَعْدَمِ التَّوْفِيقِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ

(١) انظر: «الحاوي للفتاوي» (٢ / ٨٠).

(٢) المصدر السابق (٢ / ٧٨).

(٣) رواه مسلم (٢٩٤٤) من حديث أنس رضي الله عنه بلفظ: «يَتَّبِعُ الدَّجَالُ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ».

(٤) في «و»: «مقدمة».

(٥) رواه أبو داود (٤٢٩٠)، وفي إسناده انقطاع.

فَنَفَرَقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴿[الأنعام: ١٥٣]﴾؛ فَالرَّوَافِضُ يُسَمُّونَ أَهْلَ السُّنَّةِ بِالْخَوَارِجِ، وَالْخَوَارِجُ يَعْتَقِدُونَ فِيهِمْ أَنَّهِمُ الرَّوَافِضُ، وَنَحْنُ بَرِيثُونَ بِحَمْدِ اللَّهِ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، لَا مَائِلُونَ إِلَى أَحَدِ الطَّرِيقَيْنِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يَدَّعِي أَنَّهُ واقِفٌ عَلَى الْجَادَّةِ، وَقَائِمٌ إِلَى قِبَلَةِ السَّجَّادَةِ، لَكِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا قَالَ: «سَتَفْتَرُقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، قِيلَ: مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»^(١)؛ فَالْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الرَّاجِيَةِ.

ثُمَّ اعْلَمُوا: أَنَّ فِي حَقِّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَدَّ أَيْضاً أَحَادِيثُ بِنَقْلِ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ، فَلْنُورِدْ بَعْضَهَا لِيَتِمَّ الْكَلَامُ فِي مَرَامِ هَذَا الْمَقَامِ.

فَمِنْهَا: قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ رُوحَ اللَّهِ عِيسَى نَازَلَ فِيكُمْ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ؛ فَإِنَّهُ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ، إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مَمْصَّرَانِ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصْبِهِ بَلَلٌ، فَيَذُقُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخَنْزِيرَ، وَيَضَعُ^(٢) الْجُزْيَةَ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فِيَهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ، وَتَقَعُ الْأَمَنَةُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ حَتَّى تَرَعَى الْأَسْوَدُ مَعَ الْإِبْلِ، وَالنُّمُورُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذَّنَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبُ الصَّبِيَانُ بِالْحَيَّاتِ لَا تَضُرُّهُمْ، فَيَمُكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّى، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ». رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكَرٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ^(٣).

وَمِنْهَا: قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ؛ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَإِنِّي أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازَلَ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ؛ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ، إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مَمْصَّرَانِ، رَأْسُهُ يَقْطُرُ وَإِنْ

(١) لَمْ أَجِدْهُ بِهَذَا اللَّفْظِ، وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ (٣٩٩٣) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِلَفْظٍ: «... كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ».

(٢) فِي «ج»: «وَيَرْفَعُ»، وَفِي هَامِشٍ «و»: «الظَّاهِرُ: وَيَرْفَعُ».

(٣) رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٤١٦٣) وَقَالَ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يَخْرُجْ جَاهُ. وَانْظُرْ مَا بَعْدَهُ.

لم يُصَبِّه بَلَلٌ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخَزِيرَ، وَيَضَعُ الْجُزْيَةَ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَتَهْلِكُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَّةُ كُلُّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَتَرْتَعُ الْأَسْوَدُ مَعَ الْإِبْلِ، وَالنَّمَارُ مَعَ الْبَقْرِ، وَالذَّنَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبُ الصَّبِيَانُ بِالْحَيَّاتِ فَلَا تَضُرُّهُمْ، فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ^(١).

وَقَوْلُهُ: «فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً» يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بَيَانٌ عَمَرِهِ جَمِيعاً فِي وَجْهِ الْأَرْضِ، أَوْ مَدَّةَ نَزْوِلِهِ مِنَ السَّمَاءِ بِالطُّولِ وَالْعَرْضِ.

وَقَوْلُهُ: «لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ» بِإِطْلَاقِهِ يَرُدُّ عَلَى مَنْ قَالَ بِنُبُوَّةِ خَالِدِ الْعَبْسِيِّ بَيْنَهُمَا، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُقَيَّدَ النَّفْيُ بِمَا بَيْنَهُمَا فِيمَا تَأَخَّرَ لَا فِيمَا تَقَدَّمَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَمِنْهَا: قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنِّي لَا أَرْجُو أَنْ طَالَ بِي عُمرٌ أَنْ أَلْقَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنْ عَجَلَ بِي مَوْتُ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيُقرِّئْهُ مِنِّي السَّلَامَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ^(٢).

وَفِيهِ تَنْبِيْهُ نَبِيَّةٍ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ الْإِجْمَالِيَّ بِنَزُولِ عِيسَى كَافٍ فِي الْعُقَائِدِ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يَتَمَنَّى رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَصْفِيَاءِ؛ لَمَّا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا مِنَ الْفَوَائِدِ، وَيَتَعَيَّنُ عَلَى مَنْ أَدْرَكَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُبَلِّغَهُ سَلَامَ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ التَّحِيَّةُ وَالْإِكْرَامُ.

وَمِنْهَا: قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «طُوبَى لِعَيْشٍ بَعْدَ الْمَسِيحِ، يُؤَذَّنُ لِلسَّمَاءِ فِي الْقَطْرِ، وَلِلْأَرْضِ فِي النَّبَاتِ، فَلَوْ بُذِرَتْ حَبَّةٌ عَلَى الصَّفَا لَنَبَتَتْ، وَلَا تَبَاغَضَ وَلَا تَحَاسَدَ، حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْأَسَدِ فَلَا يَضُرُّهُ، وَيَطَأُ عَلَى الْحَيَّةِ فَلَا تَضُرُّهُ». رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ^(٣).

(١) رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٢/ ٤٠٦) (٩٢٧٠)، وَأَبُو دَاوُدَ (٤٣٢٤). وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

(٢) لَيْسَ عِنْدَ مُسْلِمٍ، وَرَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٢/ ٩٨ - ٩٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعاً وَمَوْقُوفاً. وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي «مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ» (٨/ ٢٠٥): رَوَاهُ أَحْمَدُ مَرْفُوعاً وَمَوْقُوفاً وَرَجَالَهُمَا رِجَالُ الصَّحِيحِ.

(٣) رَوَاهُ أَبُو سَعِيدٍ النَّقَاشُ فِي «فَوَائِدِ الْعَرَاقِيِّينَ» (٢٨).

وفيه دلالة على أن العيش الطيب إنما هو برفع التباغض والتحاسد، وأنه بكماله غير حاصل إلا في زمان عيسى عليه السلام، وكذا يكون في دار السلام لأهل الإسلام، كما في قول الله الملك العلام: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]؛ وورد عن عليّ كرم الله وجهه أنه قال: أرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير منهم^(١).

ومنها: قوله عليه السلام: «ينزل عيسى ابن مريم عند باب دمشق» - وفي رواية: «شرقي دمشق، عند المنارة البيضاء» - لست ساعات من النهار، في ثوبين ممشقين، كأنما يتحدّر من رأسه اللؤلؤ». رواه تمام وابن عساكر عن كيسان^(٢).

ومنها: قوله عليه السلام: «ليهبطن عيسى ابن مريم حكماً وإماماً مقسطاً، وليسلكن فجاً حاجاً أو معتمراً، وليأتين قبري حتى يسلم عليّ، ولازذنّ عليه». رواه ابن عساكر عن أبي هريرة^(٣).

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٨٢).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٠ / ٢٧٨) و(١٦ / ٤١٥) من حديث كيسان، ومن حديث ابنه نافع بن كيسان، قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٧ / ١٦٥) ترجمة كيسان: والصحيح: نافع بن كيسان عن النبي ﷺ فقط، ليس فيه ذكر كيسان، سمعت أبي يقول ذلك. وذكر في ترجمة نافع بن كيسان (٨ / ٤٥٧) الاختلاف على هذا الحديث. وقال ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٤ / ١٤٩١): يختلف في هذا الحديث ويضطرب في إسناده. أما الرواية التي فيها نزوله شرقي دمشق عند المنارة البيضاء، فهذه قطعة من حديث رواه مسلم (٢٩٣٧) عن النواس بن سمعان في ذكر خبر الدجال، وفيه: «فبينما هو كذلك [أي: الدجال] إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه فطر، وإذا رفعه تحدّر منه جمان كاللؤلؤ».

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧ / ٤٩٣)، ورواه أيضاً الحاكم في «المستدرک» (٤١٦٢)، وصححه.

وقوله: «لَا رَدَّ عَلَىَّ»؛ أي: ظاهراً، وإلا فهو عليه السَّلامُ يردُّ على كلِّ مَنْ يُسَلِّمُ عليه باطناً؛ كما في حديث: «ما من أحدٍ يُسَلِّمُ عليَّ إلا ردَّ اللهُ عليَّ رُوحِي حتى أَرُدَّ عليه»^(١).

فيُفيدُ الحديثُ الشَّريفُ تخصيصَ عيسى بهذا المنصبِ المُنيفِ، فمَنْ ادَّعى هذا المعنى المبنَى على كمالِ المَعْنَى من غيرِهِ، ولو من العلماءِ أو المشايخِ الكُرماءِ، فعليه بالبيانِ وإتيانِ البرهانِ، وإلا فما أيسرَ الدَّعوى، وما أَعَسَرَ المعنى.

ومنها: قوله عليه السَّلامُ: «خيرُ هذه الأُمَّةِ أوَّلُها وآخرُها؛ أوَّلُها فيهم رسولُ الله، وآخرُها فيهم عيسى ابنُ مريمَ». رواه أبو نُعيمٍ في «الحلية»، عن عُرْوَةَ بنِ رُويمٍ^(٢).

ومنها: قوله عليه السَّلامُ: «عصابتانِ من أُمَّتي أحرزهما اللهُ من النَّارِ: عصابةٌ تغزو الهندَ، وعصابةٌ تكونُ مع عيسى ابنِ مريمَ»^(٣).

ومنها: قوله عليه السَّلامُ: «يخرجُ الدَّجَالُ في أُمَّتي فيمكثُ أربعينَ سنةً، فيبعثُ اللهُ تعالى عيسى ابنَ مريمَ كأنَّه عُرْوَةُ بنُ مسعودٍ الثَّقَفِيُّ، فيطلبُ به فيهلكُ، ثم يمكثُ النَّاسُ سبعَ سنينَ ليس بين اثنينِ عداوةٌ، ثم يُرسلُ اللهُ ريحاً باردةً من قِبَلِ الشَّامِ، فلا يَبْقَى على وجهِ الأرضِ أحدٌ في قلبه مثقالُ ذرَّةٍ من الإيمانِ إلا قبضَتْهُ، حتى لو أنَّ أحدَكم دخلَ في كَبِدِ جبلٍ لدخلَتْ عليه حتى تَقْبُضَهُ، فيبقى شرارُ النَّاسِ في خِفَّةِ الطَّيْرِ وأحلامِ السَّباعِ، لا يعرفونَ معروفاً ولا يُنكرونَ منكراً، فيتمثَّلُ لهم الشَّيْطَانُ فيقول: ألا تستجيبون؟! فيقولون: بَمَ تأمرُنا؟ فيأمرُهم

(١) رواه أبو داود (٢٠٤١).

(٢) رواه أبو نُعيمٍ في «الحلية» (٦ / ١٢٣)، وهو مرسل، وعُرْوَةُ بنِ رُويمٍ - كما في «التقريب» - صدوق كثير الإرسال.

(٣) رواه النسائي (٣١٧٥)، والإمام أحمد في «المسند» (٥ / ٢٧٨) (٢٢٣٩٦) وهو حديث حسن، وانظر الكلام عليه في التعليق على «المسند» ط الرسالة.

بعبادة الأوثان فيعبدونَهَا، وهم في ذلك دارُّ رزقهم^(١)، حسنٌ عيشهم، ثم يُنفخُ في الصُّورِ فلا يسمعه أحدٌ إلَّا أصغى ليتها ورفعَ ليتها - وهو بكسرة اللام: صفحة العنق - وأوَّلُ مَنْ يسمعه رجلٌ يُلوطُ حوضَ إبله، فيصعقُ ويصعقُ النَّاسُ، ثم يرسلُ اللهُ مطراً كأنه الطَّلُّ، فينبُتُ منه أجسادُ الذين ماتوا، ثم يُنفخُ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ ينظرونَ، ثم يقولُ: يا أيُّهَا النَّاسُ! هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ، ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]، ثم يُقالُ: أخرجوا بَعَثَ النَّارِ، فيُقالُ: من كم؟ فيُقالُ: من كلِّ ألفٍ تسع مئة وتسعة وتسعين، فذلك ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧]، وذلك ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [الفلم: ٤٢]. رواه أحمدٌ ومسلمٌ عن ابنِ عمر^(٢).

فإن قلت: هل يكونُ عيسى عليه السَّلامُ مجتهداً مطلقاً في القضايا والأحكام، أو يكونُ عاملاً بالوحي والإلهام؟

يَحْتَمِلُ الأمرين، وعلى التَّقديرين يكونُ أحكامه قطعياً لا ظنيّاً؛ لأنَّ الأنبياءَ ولو وقعَ منهم الخطأ، لم يستقرُّوا عليه؛ بل بُهتوا بالإنباء، والله أعلمُ بحقائق الأشياء.

ثم اعلم: أنَّه وردَ في مسندِ حذيفة بنِ اليمان: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! الدَّجَالُ قبلَ عيسى ابنِ مريمَ؟ قال: «الدَّجَالُ ثم عيسى ابنُ مريمَ، ثم لو أنَّ رجلاً أُنْتَجَ فرساً لم يركبَ مُهرَها حتى تقومَ السَّاعةُ»^(٣).

وقد تقدَّمَ أنَّ أوَّلَ الآياتِ ظهورُ المهديِّ، ثم الدَّجَالُ، ثم عيسى، ثم خروجُ أجوجَ ومأجوجَ، وآخرُ الآياتِ طلوعُ الشَّمسِ من مغربِها، ثم تكونُ النَّفخةُ الأولى على شرارِ

(١) في «ج»: «وإن رزقهم».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٦)، ومسلم (٢٩٤٠)، كلاهما من حديث ابن عمرو لا ابن عمر. وفيهما في مقدار لبث الدجال بدل: «فيمكث أربعين سنة»: «فيمكث أربعين - لا أدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً».

(٣) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٣١٠).

الخلق ممّن لم يقل: لا إله إلا الله، ثم تقع النَّفخةُ الثَّانيةُ، وبين النَّفختين أربعون سنةً كما ثبت عنه ﷺ^(١)، ويقول الحقُّ فيها: لَمَن الملكُ اليومَ؟ فيُجيبُ بذاته: اللهُ الواحدُ القهارُ، وحيث لم يكن في الدَّارِ غيرُه دياراً، وكذا الآن في نظرِ أربابِ الشُّهودِ سوى اللهِ، واللهُ ما في الوجودِ، وهذا معنى قولهم: كان اللهُ ولم يكن معه شيءٌ، والآن على ما عليه كان. وهذا يحتاجُ إلى بسطٍ في البيان، فصَرَفْنَا عنه العنان.

ورجعنا إلى معنى ما ورد في بعضِ الروايات: أنَّ عمرَ الدُّنيا سبعةُ آلافِ سنةٍ، وأنَّ نبيَّنَا ﷺ بُعثَ في الألفِ السَّابعِ، ولهذا يُقالُ له: نبيُّ آخرِ الزَّمانِ، وقد تَعَدَّى عن الألفِ ثلاثَ عشرةَ سنةً في هذا الآوانِ، فلا بُدَّ أن يقعَ أشراطُ السَّاعةِ قبلَ تحقُّقِ القيامةِ، فيحتاجُ إلى إطالةِ المدةِ؛ تكملةً للعِدَّةِ والعِدَّةِ.

والتَّحقيقُ ما ذكره شيخُ مشايخنا الجلالُ السيوطيُّ رحمه اللهُ في رسالته «الكشفُ في مجاوزةِ هذه الأُمّةِ الألفِ»^(٢)، إلّا أنَّه لا يتجاوزُ عن الخمسِ مئةٍ؛ ليصحَّ ما ثبت في

(١) لم يثبت ذلك عنه ﷺ، ولم يرد في هذا التعيين خبر يحتج به، فقد رواه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٧٢١) من طريق الحسن عن النبي ﷺ مرسلًا. ورواه البيهقي في «الشعب» (٣٥٦) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا. والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس. والصحيح في هذا عدم التعيين كما رواه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النَّفختين أَرْبَعُونَ»، قالوا: يا أبا هُرَيْرَةَ! أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قال: أُبَيِّتُ، قالوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قال: أُبَيِّتُ، قالوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قال: أُبَيِّتُ. الحديث.

(٢) وهي ضمن «الحاوي للفتاوي» (٢/ ٨١)، وقد لخص الآلوسي رحمه الله في «روح المعاني» (٩/ ٥٢٣) كلامه في الرسالة المذكورة مع رده بقوله: «وأخرج الجلال السيوطي عدة أحاديث في أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة، وذكر أن مدة هذه الأمة تزيد على ألف سنة ولا تبلغ الزيادة عليها خمس مئة سنة، واستدل على ذلك بأخبار وآثار ذكرها في رسالته المسماة بـ «الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف» وسمى بعضهم لذلك هذه الألف الثانية بالمخضرمة؛ لأن نصفها دنيا ونصفها الآخر أخرى، وإذا لم يظهر المهدي على رأس المئة التي نحن فيها ينهدم جميع ما بناه كما لا يخفى على =

الحديث، فإنه قد يُذكرُ العددُ ويُسقطُ كسره من المدّة؛ كما وردَ في رواية: «أنَّ عُمَرَ عليه السَّلامُ سِتُّونَ سَنَةً»^(١)، مع أنَّ الصَّحِيحَ «ثلاثٌ وستون»^(٢) كما في رواية، وأمّا رواية «خمس وستين»^(٣)؛ فمحمولةٌ على اعتبارِ عامِ الولادةِ وسنَةِ الوفاةِ.

فهنا كذلك يتعيّنُ أن يُحمَلَ على إسقاطِ الكسرِ، والكسرُ لا يكونُ أكثرَ من النِّصْفِ؛ فإنه يلزُمُ حينئذٍ أن يكونَ عُمُرُ الدُّنيا ثمانيةَ آلافٍ؛ إمّا مع الكسرِ، أو الجبرِ^(٤).

= من راجعه، وكأنني بك تراه منههما.

قلت: وقد انقضت المئة التي كان فيها الألوسي ومئة بعدها، ولم يظهر المهدي، فانهدم ما السيوطي بناه، والحمد لله على ما أولاه، إنه هو العليم الحكيم.

وقال الألوسي أيضاً في رده على السيوطي: «وقد يردُّ عليه بأنه مضى من زمن البعثة إلى يومنا هذا ألف ومئتان وثمانٍ وستون سنة، وإذا ضم إليها ما ذكره من سني مكث عيسى عليه السلام وبقاء الدنيا بعد طلوع الشمس من مغربها وما بين النفختين وهي مئتا سنة، تصير ألفاً وأربع مئة وثمان وسبعين، فيبقى من المدة التي ذكرها اثنتان وعشرون، وإلى الآن لم تطلع الشمس من مغربها، ولا خرج الدجال الذي خروجه قبل طلوعها من مغربها بعدة سنين، ولا ظهر المهدي الذي ظهوره قبل الدجال بسبع سنين، ولا وقعت الأشرار التي قبل ظهور المهدي، ولا يكاد يقال: إنه يظهر بعد خمس عشرة سنة ويظهر الدجال بعدها بسبع سنين على رأس المئة الثالثة من الألف الثانية؛ لأن قبل ذلك مقدمات تكون في سنين كثيرة، فالحق أنه لا يعلم ما بقي من مدة الدنيا إلا الله عزَّ وجلَّ، وأنه - وإن طال - أقصر قصير، وما متاع الحياة الدنيا إلا قليل». انظر: «روح المعاني» (٢٥ / ١٦٠).

(١) رواه البخاري (٣٥٤٨)، ومسلم (٢٣٤٧)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٣٥٣٦)، ومسلم (٢٣٤٩)، من حديث عائشة رضي الله عنها. ورواه البخاري

(٣٩٠٣)، ومسلم (٢٣٥١)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه مسلم (٢٣٤٨) من

حديث أنس رضي الله عنه. ورواه مسلم أيضاً (٢٣٥٢) من حديث معاوية رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم (٢٣٥٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) وفي هذا الكلام والتعيين نظر، يظهر ذلك من قول مرعي بن يوسف الكرمي في «بهجة الناظرين

وآيات المستدلين»: قد احتج كثير من العلماء على تعيين قرب زمانها بأحاديث لا تخلو عن نظر،

فمنهم من قال: بقي منها كذا، ومنهم من قال: يخرج الدجال على رأس كذا، وتطلع الشمس على

رأس كذا، وأفرد الحافظ السيوطي رسالة لذلك كله وقال: تقوم الساعة في نحو الألف والخمس =

وقد أخرج نعيم بن حماد عن أبي قبيل، قال: اجتمع الناس على المهدي سنة أربع ومئتين^(١).

يعني: بعد الألف السابع^(٢)، ويكون بقيّة أشراف الساعة ينقضي قبل الخمس مئة.

وكذا ما أخرجه نعيم أيضاً عن جعفر، قال: يقوم المهدي سنة مئتين^(٣).

هذا، وقال أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم السجزي^(٤): قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة روايتها عن سيّد الأخيار وسند الأخبار، بمجيء المهدي المختار، وأنه من أهل بيته، وأنه سيملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأنه يخرج مع عيسى عليه السلام، فيساعده على قتل الدجال بباب لُدّ بأرض فلسطين، وأنه يؤم هذه الأمة، وعيسى يُصلي خلفه، في طول من قصته وأمره.

وهذا كله باعتبار الإجمال في زمان الساعة، وما يترتب عليه من الأحوال، وإلا فقد قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾^(٥) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا^(٦).

= مئة، وكل ذلك مردود، وليس للمتكلمين في ذلك إلا ظن وحسبان، لا يقوم عليه من الوحي برهان. نقله عنه الألوسي في «روح المعاني» (٢٥ / ١٥٩).

(١) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (٩٦٢) عن رشدين عن ابن لهيعة عن أبي قبيل به. ورشدين هو ابن سعد ضعيف، وابن لهيعة سيئ الحفظ، وأبو قبيل اسمه: حيي بن هاني، قال عنه الحافظ في «التقريب»: «صدوق يهم». والخبر من قوله.

(٢) لم يرد التعيين بما بعد الألف السابعة في الخبر، بل قال ابن لهيعة عقبه: بحساب العجم ليس بحساب العرب.

(٣) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (٩٥٣).

(٤) ثم الأبري - بالمد ثم الضم - مصنف كتاب «مناقب الإمام الشافعي»، منسوب إلى قرية أبر من عمل سجستان، ارتحل وسمع إمام الأئمة ابن خزيمة وغيره، توفي سنة (٣٦٣هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٦ / ٣٠٠).

إِلَى رَبِّكَ مِنْهُمْ هَآءُ ﴿[النازعات: ٤٢-٤٤]، وفي آية^(١) أخرى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِئُهَا لَوْفٌهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وفي أخرى: ﴿وَمَا يَذُرُّكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]، وفي أخرى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، وهي من^(٢): «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهنَّ إلا الله» كما ورد في حديث^(٣).

وفي حديث جبريل عليه السلام لما سأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «أخبرني عن الساعة» قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها... الحديث^(٤).

والحاصل: أن ساعة القيامة بعينها لا يعرفها إلا الله، ولا يطلع على حقيقتها سواه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: ١٥]؛ أي: أخفي علاماتها؛ لحكمة^(٥) في إخفاء حالاتها، أو أقرب أن أخفيها فلا أقول: إنها آتية بما فيها، ولولا ما في الأخبار من اللطف والإعذار، لما أخبرتها بها واخترت الأسرار؛ لأنها من جملة الأسرار.

أو المعنى: أكاد أخفيها عن نفسي؛ كما قرئ بها^(٦)؛ أي: لو كان ممكناً إخفاؤها. وفي الجملة: أظهر الله إتيانها، وأخفى زمانها؛ لتجزي كل نفس بما تسعى قبل أوانها؛ تعظيماً لشأنها في إخفاء بيانها.

(١) في «و» «ج»: «رواية»، وسقط هذا الموضع من «د»، والصواب: «آية» كما أثبت.

(٢) كلمة: «من» ليست في «ج».

(٣) رواه البخاري (١٠٣٩) و(٤٦٢٧) و(٤٦٩٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) رواه بهذا اللفظ مسلم (٨) من حديث عمر رضي الله عنه. ورواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه دون قوله: «فأخبرني عن أماراتها».

(٥) في «ج»: «لحكمة اقتضت».

(٦) هي قراءة عطاء كما في «تفسير السمرقندي» (٣٩٢ / ٢). وذكر ابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص ٩٠) عن أبي: «أكاد أخفيها من نفسي».

فنسأل الله حُسنَ الخاتمةِ في الحالةِ اللاحقة، وإن كان المدارُّ على الأمور السابقة، والحمدُ لله على ما أسبغَ علينا من نِعَمِهِ الظَّاهِرَةِ والباطنة، وجَعَلَنَا فيما بين الخَلْقِ من خيرِ الأُمَمِ وأتباعِ النَّبِيِّ المَكْرَمِ والرَّسُولِ المَعْظَمِ، وأنعمَ علينا بموافقةِ مذهبِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعة، وإن كُنَّا مقصِّرينَ في مقامِ الطَّاعة، فنرجو من كرمِهِ العَمِيمِ ولُطْفِهِ القَدِيمِ أن يحفظَنَا من الفضيحةِ والشَّناعة؛ كما قال القائلُ:

لَقَدْ أَحْسَنَ اللهُ فِيمَا مَضَى كَذَلِكَ يُحَسِّنُ فِيمَا بَقِيَ
وهذا حسنُ ظنِّنا به، وهو أكرمُ الأكرمين، وأرحمُ الرَّاحِمِينَ.

فصلٌ في هذا الكلام، وَضُلُّ في مقامِ المَرَامِ

وهو أنَّه عارضني في هذه القضية مَنْ هو عارٍ عن الفضيلةِ بالكلِّيةِ؛ بل هو خالٍ عن إدراكِ علمِ الباطنِ والظاهر، وفي صورةِ الفَرْخِ في سماءِ عِلْمائِ الطَّائِرِ، وأبرزَ نقلاً ممَّا كُتِبَ في قَفَاءِ الدَّفَاتِرِ، الذي يُدْرِكُ بطلانَهُ ذو العقلِ القاصرِ، والفهمِ الفاتِرِ، ومع هذا منقولٌ من كتابٍ هو مجهولٌ.

وقد صرَّحَ الإمامُ ابنُ الهُمامِ بأنَّه لا يجوزُ نقلُ المسائلِ الشَّرعيةِ عن غيرِ الكتبِ المتداولةِ، يستوي فيهِ العلومُ الأصليةُ والفرعيةُ.

ثم ألقاهُ ومبانيهِ مع ذلك في غايةِ من الرِّكاكةِ الدَّالَّةِ على بطلانِ معانيهِ، وها أنا أذكُرُ لك جميعَ ما فيه؛ لتُحِيطَ علماً بما يوافقه وما ينافيه، حيث قال ولم يخشَ ما عليه من الوَبَالِ والمَالِ، من^(١) غضبِ المَلِكِ المتعالِ:

اعلم: أنَّ الله تعالى قد خَصَّ أبا حنيفةَ رضيَ اللهُ تعالى عنه بالشَّريعةِ والكرامةِ؛ ومن كراماتِهِ: أنَّ الخَضِرَ عليه السَّلامُ كان يَجِيءُ إليه كُلَّ يومٍ وقتَ الصُّبْحِ، ويتعلَّمُ منه أحكامَ الشَّريعةِ إلى خمسِ سِنِينَ، فلَمَّا تُوفِّيَ أبو حنيفةَ، نَاجَى الخَضِرُ رَبَّهُ وقال:

(١) في «ج»: «في».

إلهي! إن كان لي عندك منزلة فأذن لأبي حنيفة حتى يُعلِّمني من القبرِ على حَسَبِ عادته، حتى أعلمَ شرعَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الكمالِ؛ ليحصلَ^(١) لي الطَّريقَةُ والحَقِيقَةُ، فنودي: أن اذهبْ إلى قبره وتعلَّمْ منه ما شئتَ، فجاءَ الخَضِرُ عليه السَّلامُ إليه، وتعلَّمْ منه ما شاءَ كذلك إلى خمسٍ وعشرينَ سنةً أخرى، حتى أتمَّ الدَّلَائِلَ والأَقْوِيلَ، ثم ناجى خَضِرٌ عليه السَّلامُ رَبَّهُ وقال: إلهي! ماذا أصنعُ؟ فنودي: أن اذهبْ إلى صفائك واشتغلْ بالعبادةِ إلى أن يأتِكَ أمري، إلى أن اذهبْ إلى البقعةِ الفلانيَّةِ^(٢) وعلمَ فلاناً عِلْمَ الشَّريعةِ، ففعلَ خَضِرٌ عليه السَّلامُ ما أُمِرَ.

ثم بعدَ المدةِ ظهرَ في مدينةٍ ما وراءَ النَّهرِ شابٌّ، وكان اسمُه أبا القاسمِ القُشيريُّ، وكان يَخِدُمُ لأمِّه ويحترُمُها، ثم إنَّه قال وقتاً من الأوقاتِ لأمِّه: يا أمَّاه! قد حصلَ لي الحِرْصُ على طلبِ العلمِ، وقد قال عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: مَنْ كان في طلبِ العلمِ كانتِ الجَنَّةُ في طلبِهِ، فأذني لي حتى أذهبَ إلى بُخارى وأتعلَّمُ العلمَ، فتفكرتُ والدتهُ وقالت: إن لم أعطه الإذنَ أكونُ مانعةً للخيرِ، وإن أذنتُ له لم أصبرُ على فراقه، فلم يكنْ لها بُدٌّ حتى أذنتُ له، فودَّعَ القُشيريُّ والدتهُ وعزمَ على السَّفرِ مع شابٍّ صاحبٍ له يطلبانِ العلمَ، فقعدتُ أمُّه على البابِ باكيةً حزينةً وقالت: إلهي! اشهدْ أنني حرَّمتُ على نفسي الطَّعامَ والشرابَ والمنزلَ، ولا أقومُ من مقامي حتى أرى ولدي، فمضى القُشيريُّ وصاحبهُ حتى نزلا في منزلٍ ليأكلا فيه طعاماً، فقامَ القُشيريُّ ليقضيَ حاجتهُ، فتلوَّثَ ثيابهُ ببوله، وقال لصاحبهُ: اذهبْ أنت فإنِّي أريدُ أن أرجعَ، فقال له صاحبهُ: لم ترجعُ؟ قال: لأنَّ هذا السَّفرَ ليسَ بمباركٍ لي، وقد أصابَ لثيابي النَّجاسةُ في أوَّلِ المنزلِ، وأخافُ أن تُصيبَ النَّجاسةُ لجسمي في المنزلِ الثَّاني، وتُصيبَ روحي في الثَّالثِ، ففُعودي عندَ والدتي أُولَى، ورجعَ إلى أمِّه، وكانت قاعدةً على مكانها التي ودَّعتْ ابنها، فقامتُ وتصافحتُ مع ولدها وقالت: الحمدُ لله.

(١) في «ج»: «فيحصل».

(٢) في «و» و«د»: «الفلاني».

فأمر الله تعالى الخضر عليه السلام: أن اذهب إلى القشيري وعلمه ما تعلمت من أبي حنيفة؛ لأنه أرضى أمه، فجاء الخضر إلى أبي القاسم وقال: أنت أردت السفر لأجل طلب العلم، وقد تركته لرضا أمك، وقد أمرني الله أن أجيء إليك كل يوم على الدوام وأعلمك، فكل يوم يجيئ إليه الخضر عليه السلام حتى مضى ثلاث سنين، وعلمه العلوم الذي تعلم من أبي حنيفة في ثلاثين سنة، حتى علمه علم الحقائق والدقائق ودلائل العلم، وصار مشهور دهره وفريد عصره، حتى صنف ألف كتاب، وصار صاحب كرامة، وكثر مريدوه وتلاميذه.

فكان له مريد كبير متدين لا يفارق الشيخ، فعده له الشيخ ألف كتاب من مصنفاته، ووضعها في الصندوق، وأعطى لذلك المريد وقال: قد بدا لي أمر، فاذهب وارم هذا الصندوق في نهر جيحون، فحمل المريد الصندوق وخرج من عند الشيخ وقال في نفسه: كيف أرمي مصنفات الشيخ في الماء، لكن اذهب وأحفظ الكتب وأقول للشيخ رميتها، وحفظ الكتب وجاء وقال للشيخ: رميت الصندوق إلى الماء، قال الشيخ: وما رأيت في تلك الساعة من العلامة؟ قال: ما رأيت شيئاً، قال الشيخ: اذهب وارم الصندوق، فذهب المريد إلى الصندوق وأراد أن يرميه فلم يهتد عليه، ورجع إلى الشيخ مثل الأول فقال: رميته؟ قال: نعم، قال: وما رأيت؟ قال: لم أر شيئاً، قال الشيخ: وما رميته فاذهب وارمه فإن لي فيها سرّاً مع الله ولا تردّ أمري، فذهب المريد ورمى الصندوق، فخرج من الماء يد وأخذ الصندوق، قال المريد له: من أنت؟ فنادى من الماء: إني وكّلت لأن أحفظ أمانة الشيخ، فرجع المريد وجاء إلى الشيخ، فقال الشيخ: رميته؟ قال: نعم، قال: وما رأيت؟ قال: رأيت الماء قد انشقق وخرج منه يد وأخذ الصندوق، وقد صرت متحيراً، وما السر في ذلك؟ قال الشيخ: السر في ذلك أنه إذا قربت القيامة وخرج الدجال ونزل عيسى بيت المقدس، ويكون إمام المسجد رجل صالح من آل علي رضي الله تعالى عنه، فيعلم عيسى عليه السلام

ويقول: قدّم إلى المحراب وصلّ بنا، فيقول عيسى عليه السلام: إنّي جئت تابعا لشرع محمد صلى الله تعالى عليه وسلّم؛ بل أنت صلّ بنا، فيصليّ بهم، فإذا فرغ من الصلّة يأمرهم أن يركبوا ويقصدوا الدّجّال، فيقتله وينهزم عسكره، ويقتلهم المسلمون، فإذا فرغوا من قتلهم، فيضع عيسى عليه السلام الإنجيل بجنبه ويقول: أين الكتب المحمّديّة؟ وقد أمرني الله تعالى أن أحكم بينكم بكتّبه ولا أحكم بالإنجيل، فيطلبون الدّنيا ويطوفون البلاد، فلم يوجد كتاب من كتب الشرع المحمّديّ، فيتحيّر عيسى عليه السلام ويقول: إلهي! بماذا أحكم بين عبادك ولم يوجد كتاب غير الإنجيل؟ فينزّل جبريل عليه السلام ويقول: قد أمر الله تعالى أن تذهب إلى نهر جيحون وتركع بجنبه ركعتين وتنادي: يا أمين صندوق أبي القاسم القشيريّ سلّم إليّ الصندوق وأنا عيسى ابن مريم، وقد قتل الدّجّال، فيذهب عيسى عليه السلام إلى جيحون ويصليّ ركعتين ويقول مثل ما أمره جبريل عليه السلام، فينشق الماء ويخرج الصندوق، ويأخذه ويفتحه ويجد فيه ختمه وألف كتاب، فيحيا الشرع بذلك الكتب.

ثم سأل عيسى عليه السلام جبريل: بم نال أبو القاسم هذه المرتبة؟ فقال: برضاء والدته، والله أعلم بالصواب، من كتاب «أنيس الجلساء»، انتهى.

ولا يخفى أنّ هذا من كلام بعض الملحدّين، السّاعي في فساد الدّين؛ إذ حاصله أنّ الخضر الذي قال تعالى في حقّه: ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]، وقد تعلّم موسى عليه السلام بعض العلوم منه بما أوتي حِلْمًا = من جُمْلَةِ تلاميذ أبي حنيفة، ثم عيسى عليه السلام يأخذ أحكام الإسلام من تلميذ تلميذ أبي حنيفة في ذلك المقام، وما أسرع فهم التّلميذ حيث أخذ عن الخضر في ثلاث سنين ما تعلّمه الخضر من أبي حنيفة حيّا وميتا في ثلاثين سنة. وأعجب منه أنّ أبا القاسم القشيريّ ليس معدودا في طبقات الحنفيّة، وإنّما هو أحد أكابر الشّافعيّة.

ثم التَّعَجُّبُ من الخَضِرِ أَنَّهُ أدركَ النَّبِيَّ عليه السَّلَام، ولم يتعلَّم منه الإسلام، ولا من علماء الصَّحابة الكرام؛ كعليٍّ بابِ مدينةِ العلمِ وأقضى الصَّحابة، وزيدٍ أفرضهم، وأبيٍّ أقرأ القرآن^(١)، ومعاذِ بنِ جبلٍ الأَعلمِ بالحلالِ والحرام، ولا من التَّابِعِينَ العِظام؛ كالفقهاء السَّبعة وسعيدِ بنِ المسيَّبِ بالمدينة، وعطاءٍ بمكَّة، والحسنِ بالبصرة، ومكحولٍ بالشَّام، وقد رضيَ بجهله بالشَّريعة الحنيفة حتى تعلَّم مسائلها بدلائلها في أواخرِ عمرِ أبي حنيفة، فهذا ممَّا لا يَخْفَى بطلانه على العقولِ السَّخيفة، والفُهومِ الضَّعيفة؛ بل لو اطلَّعَ على هذه المقالة الرَّدِيَّة علماء الشَّافعية، أو الحنابلة والمالكية، أخذوها على وجهِ السُّخرية، وجعلوها وسيلةً في قِلَّةِ عقلِ الطَّائفةِ الحنيفة، حيث لم يعلموا أنَّ أحداً منهم لم يرضَ لهذه القضية بالكلية.

ثم لو تعرَّضْتُ لِمَا في مَنقوله من الخطأ في مبانيه ومعانيه الدَّالة على نقصانِ معقوله، لصارَ كتاباً مستقلاً في ردِّ محصوله، إلَّا أنَّي أعرضْتُ عنه صَفْحاً؛ لقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

وقد جمعتُ ما وردَ في الخَضِرِ، وسمَّيته بـ «كشفِ الحَذِرِ»، وبيَّنتُ فيه أَنَّهُ النَّبِيُّ على القولِ^(٢) الأكثر؛ بل وقيل: إِنَّهُ مرسلٌ عند بعضِ أهلِ الأثر، فبطلَ قولُ القائلِ بل وكفَرَ فيما أظهر، لا سيَّما فيما أبرزَ بالنِّسبةِ إلى عيسى عليه السَّلَام المُجمَع على نبوته سابقاً ولاحقاً، فمَن قال بسلبِ نبوته كفرَ حقاً كما صرَّحَ به الشيوطي؛ لأنَّ النَّبِيَّ لا يذهبُ عنه وصفُ النبوة أبداً ولا بعد موته.

وأما حديثُ: «لا وحيَ بعدي» فباطلٌ لا أصلَ له، نَعَمْ وردَ: «لا نبيَّ بعدي»^(٣)، ومعناه عند العلماء: أن لا يحدثَ بعده نبيٌّ بشرعٍ ينسخُ شرعَه.

(١) في «ج»: «أقرؤهم القرآن».

(٢) في «ج»: «قول».

(٣) رواه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فَإِنْ قُلْتَ: فَكَيْفَ طَرِيقُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تَنْفِيزِ الْأَحْكَامِ؟
فَاعْلَمْ أَنَّ الْعُلَمَاءَ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ يَحْكُمُ بِشَرعِ نَبِيِّنَا ﷺ، وَمِنْ الْمَقَرَّرِ عِنْدَ
الْفُقَهَاءِ أَنَّ الْمَقْلَدَ لَا يُقْلَدُ مَجْتَهِدًا، فَإِذَا كَانَ الْمَجْتَهِدُ مِنْ أَحَادِ الْأُمَّةِ لَا يُقْلَدُ، فَكَيْفَ
يُظَنُّ بِالنَّبِيِّ أَنَّهُ يُقْلَدُ؟!

لَا يُقَالُ: تَعَيَّنَ حَيْثُ الْقَوْلُ بِأَنَّهُ يَحْكُمُ بِالاجْتِهَادِ.
فَإِنَّا نَقُولُ: لَمْ يَتَعَيَّنْ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَحْكُمُ بِمَا
أُنْزِلَ إِلَيْهِ فِي الْقُرْآنِ، وَلَا يُسَمَّى ذَلِكَ اجْتِهَادًا، كَمَا لَا يُسَمَّى تَقْلِيدًا، وَالدَّلِيلُ عَلَى
ذَلِكَ: أَنَّ الْعُلَمَاءَ حَكَمُوا خِلَافًا^(١) فِي جَوَازِ الاجْتِهَادِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَكَانَ حُكْمُهُ بِمَا يَفْهَمُهُ
مِنَ الْقُرْآنِ لَوْ يُسَمَّى اجْتِهَادًا لَمْ يَتَّجِهْ حِكَايَةُ الْخِلَافِ.

وَالْحَاصِلُ: أَنَّ نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مَبِينًا لِمَا فِي الْقُرْآنِ
مِنْ مَشْكَالَاتِ الْفُرْقَانِ، كَمَا يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ
وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ كَانَ التَّبَيِّنُ حَاصِلًا لَهُ مِنْ غَيْرِ
تَفَكُّرٍ، بِخِلَافِ غَيْرِهِ.

وَجَوَّزَ بَعْضُهُمُ اجْتِهَادَ لَهُ حَيْثُ لَا يُفْهَمُ مَعْنَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ وَمَبْنَاهُ، لَكِنَّهُ بُوْحِي
خَفِيٍّ، وَهُوَ إِلَهَامُ رَبَّانِيٍّ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: ٣].

وَاخْتَلَفُوا فِي جَوَازِ خَطِئِهِ فِي اجْتِهَادِهِ، مَعَ الْإِتِّفَاقِ أَنَّهُ لَا يَبْقَى وَلَا يُقَرَّرُ عَلَيْهِ؛ لِمَا
يَتَرْتَّبُ مِنَ الْفَسَادِ فِي الْإِعْتِقَادِ.

ثُمَّ اْعْلَمْ: أَنَّهُ جَوَّزَ أَنْ يَكُونَ عَمَلُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفَقَ عِلْمِهِ الْيَقِينِيَّ فِي
الْأَحْكَامِ، فَقَدْ ذَكَرَ الْحَافِظُ الْجَلَالُ الشُّيُوطِيُّ: أَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَدْ كَانُوا

(١) فِي «ج»: «اِخْتِلَافًا».

يعلمون في زمانهم جميع شرائع مَنْ قبلهم وَمَنْ بعدهم بالوحي من الله تعالى على لسان جبريل، وبالتنبيه على بعض ذلك في الكتاب الذي أنزل عليهم^(١).

وحاصله: القطع بأن الله تعالى بيّن لأتباعه جميع ما يتعلق بهذه الأمة من أحكام واقعة أو حادثة، وأن علمهم بطريق الوحي من الله من غير احتياج إلى أن يأخذوه باجتهاد، فضلاً عن تقليد.

فإن قلت: يلزم عليه أن يكون كل ما في القرآن مضمناً في جميع الكتب السابقة. قلت: لا مانع من ذلك؛ بل دلّت الأدلة على ثبوت هذه الملازمة، قال تعالى: ﴿وَلَنُزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٣﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٤﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَنُزِيلُ رَبِّ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٦].

وقد نصّ على هذا بعينه الإمام أبو حنيفة، حيث استدللّ بهذه الآية على جواز قراءة القرآن بغير اللسان العربي، وقال: إن القرآن مضمّن في الكتب السابقة، وهي بغير اللسان العربي.

ومما يشهد لذلك: وصفه تعالى للقرآن في عدّة مواضع بأنّه مصدّق لما بين يديه من الكتب، فلو لا أن ما فيه موجود فيها، لم يصحّ هذا الوصف.

فإذا عرفت ذلك، فيمكن أن ينظر عيسى عليه السلام في القرآن فيفهم منه جميع الأحكام المتعلقة بهذه الشريعة من غير احتياج إلى مراجعة؛ كما فهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بفهمه الذي اختصّ به، ثم شرحها لأمتيه في السنة، وأفهام الأمة تقصّر عن إدراك ما أدركه النبوة؛ كما قال بعض أرباب الحال رحمه المتعال: جميع العلم في القرآن، لكن تقاصر عنه أفهام الرجال.

وعيسى عليه السلام نبي، فلا يبعد أن يفهم من القرآن كفههم النبي الجليل

(١) انظر: «الحاوي للفتاوى» (٢/ ١٤٨).

صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَحْكَمَ بِهِ وَإِنْ خَالَفَ الْإِنْجِيلَ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ: جَمِيعُ مَا حَكَمَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ مِمَّا فَهَمَهُ مِنَ الْقُرْآنِ.

وَيَقْوِيهِ: مَا أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنِّي لَا أُحِلُّ إِلَّا مَا أَحَلَّ اللهُ فِي كِتَابِهِ، وَلَا أُحَرِّمُ إِلَّا مَا حَرَّمَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ»^(١)، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

هَذَا، وَقَدْ صَرَّحَ الشُّبْكِيُّ فِي تَصْنِيفٍ لَهُ مَا نَصَّهُ: إِنَّمَا يَحْكُمُ عِيسَى بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ.

وَحِينَئِذٍ فَيَتَرَجَّحُ أَنَّ أَخْذَهُ لِلسُّنَّةِ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِطَرِيقِ الْمَشَافَهَةِ مِنْ غَيْرِ الْوَاسِطَةِ، أَوْ بِطَرِيقِ الْوَحْيِ وَالْإِلْهَامِ؛ تَصَحِيحًا مَا ثَبَتَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي جَمِيعِ الْأَحْكَامِ.

وَرُويَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّهُ لَمَّا أَكْثَرَ الْحَدِيثَ وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ النَّاسُ، قَالَ: لَنْ أَنْزَلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ، لِأُحَدِّثَهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُصَدِّقَنِي^(٢).

فَقَوْلُهُ: (يُصَدِّقَنِي) دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَالِمٌ بِجَمِيعِ سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ غَيْرِ احْتِيَاجٍ إِلَى أَنْ يَأْخُذَهَا عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَّةِ، حَتَّى إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ الَّذِي سَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احْتِيَاجَ إِلَى أَنْ يُلْجَأَ إِلَيْهِ، لِيُصَدِّقَهُ فِيمَا رَوَاهُ وَيُزَكِّيَهُ.

(١) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٥٧٤١)، وَابْنُ عَدِي فِي «الْكَامِلِ» (٥ / ١٩٢)، وَفِي إِسْنَادِهِ عَلِيُّ ابْنُ عَاصِمٍ، قَالَ ابْنُ عَدِي: الضَّعْفُ بَيْنَ عَلِيٍّ حَدِيثِهِ. وَرَوَاهُ الشَّافِعِيُّ فِي «الْأَمِّ» (١ / ٨٠) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ بَنِ عَمِيرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مَرْسَلًا.

(٢) رَوَاهُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ فِي «المُصَنَّفِ» (٢٠٨٤٦).

فإن قلت: هل ثبت أن عيسى عليه السلام بعد نزوله يأتيه الوحي؟

فالجواب: نعم، روى مسلم وغيره من حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، قال: ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الدَّجَّالَ، قال: «فبينما هم على ذلك، إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، واضعاً يده على أجنحة ملكين، فيتبعه فيدركه فيقتله عند باب لُدَّ الشَّرْقِيِّ، فبينما هم كذلك، أوحى الله تعالى إلى عيسى ابن مريم: أني قد أخرجت عبداً من عبادي لا يدان لك بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطُّور، فبعث الله يأجوج ومأجوج»... الحديث^(١).

ثم الظاهر أن الجائي إليه بالوحي هو جبريل، بل هو الذي يُقطع به ولا يُتردد فيه؛ لأن ذلك وظيفته، وهو السِّفِيرُ بين الله تعالى وبين أنبيائه، لا يُعرف ذلك لغيره من الملائكة.

وقد أخرج أبو حاتم في «تفسيره»: «وكل جبريل بالكتب وبالوحي إلى الأنبياء^(٢). وأما ما اشتهر على ألسنة العامة: أن جبريل لا ينزل إلى الأرض بعد موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فلا أصل له، ومما يدل على بطلانه:

ما أخرجه الطبراني في «الكبير» عن ميمونة بنت سعد، قالت: قلت: يا رسول الله! هل يرقد الجنب؟ قال: «ما أحب أن يرقد حتى يتوضأ؛ فإنني أخاف أن يتوفى فلا يحضره جبريل»^(٣).

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) قطعة من خبر رواه ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن سابط قوله. انظر: «الإتقان» للسيوطي (١/ ١٢٨).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٥/ ٣٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٧٥): رواه الطبراني في الكبير وفيه عثمان بن عبد الرحمن عن عبد الحميد بن يزيد، وعثمان بن عبد الرحمن هو الحراني الطرائفي، وثقه يحيى بن معين، وقال أبو حاتم: صدوق، وقال أبو عروبة الحراني وابن عدي: لا بأس به، يروي عن مجهولين، وقال البخاري وأبو أحمد الحاكم: يروي عن قوم ضعاف، =

فهذا الحديث يدلُّ على أنَّ جبريلَ ينزلُ إلى الأرضِ، ويحضرُ موتَ كلِّ مؤمنٍ حضره الموتُ وهو على طهارةٍ.

وقد قال الضَّحَّاكُ في قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [القدر: ٤]: الرُّوحُ هنا: جبريلُ^(١)، وإنَّه ينزلُ هو والملائكةُ في ليلةِ القدرِ ويُسَلِّمونَ على المسلمينَ، وذلك في كلِّ سنةٍ.

وأخرجُ نعيمُ^(٢) بنُ حمادٍ في «كتابِ الفتنِ» والطَّبْرَانِيُّ عن ابنِ مسعودٍ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وصفِ الدَّجَالِ، قال: «فيمرُّ بمكةَ، فإذا هو بخلقٍ عظيمٍ، فيقولُ: من أنتَ؟ فيقولُ: أنا ميكائيلُ، بَعَثَنِي اللهُ لَأُمنَعَهُ مِنْ حَرَمِهِ، ويمرُّ بالمدينةِ، فإذا هو بخلقٍ عظيمٍ، فيقولُ: أنا جبريلُ، بَعَثَنِي اللهُ لَأُمنَعَهُ مِنْ حَرَمِهِ»^(٣).

ثم وقفتُ على سؤالٍ رُفِعَ إلى شيخِ الإسلامِ ابنِ حجرٍ العسقلانيِّ، صورتهُ: ما قولكم في قولِ سيِّدنا رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ينزلُ عيسى ابنُ مريمَ في آخرِ الزَّمانِ حَكَمًا»^(٤)، فهل نزلَ عيسى عليه السَّلامُ حافظًا لكتابِ اللهِ القرآنِ العظيمِ، ولسنةِ نبيِّنا الكريمِ، أو يتلقَّى الكتابَ والسُّنةَ عن علماءِ ذلك الزَّمانِ، ويجتهدُ فيها؟

فأجابَ بما نصَّه: لم يُنْقَلْ في ذلك شيءٌ صريحٌ، والذي يليقُ بمقامِ عيسى عليه السَّلامُ أَنَّهُ يتلقَّى ذلك عن رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيحكمُ في أمتهِ كما تلقَّاه عنه؛ لأنَّه في الحقيقةِ خليفةٌ عنه، واللهُ أعلمُ.

= وقال أبو حاتم: يشبه بَقِيَّةً في روايته عن الضعفاء.

(١) رواه ابن المنذر في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٨ / ٥٦٩).

(٢) في النسخ: «أبو نعيم»، والصواب المثبت.

(٣) قطعة من خبر طويل رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٥٢٧)، ومن طريقه الطبراني كما ذكر ابن كثير.

في «النهاية في الملاحم والفتن» (١ / ٩٢)، وقال: خبر عجيب ونبا غريب.

(٤) تقدم من حديث عدد من الصحابة.

وقد سُئِلَ ابْنُ الْقَيْمِ الْجُوزِيَّةُ^(١) عَنْ حَدِيثٍ: «لَا مَهْدِيَّ إِلَّا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» فَكَيْفَ يَأْتِلَفُ هَذَا مَعَ أَحَادِيثِ الْمَهْدِيِّ وَخُرُوجِهِ؟ وَمَا وَجْهُ الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا؟ وَهَلْ صَحَّ فِي الْمَهْدِيِّ حَدِيثٌ أَمْ لَا؟

فَقَالَ: أَمَّا حَدِيثُ: «لَا مَهْدِيَّ إِلَّا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ»، فَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهٍ فِي «سُنَنِ»، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى، عَنِ الشَّافِعِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدِ الْجَنْدِيِّ، عَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢).

وَهُوَ مِمَّا تَفَرَّدَ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْإِسْنَوِيُّ^(٣) فِي كِتَابِهِ «مَنَاقِبِ الشَّافِعِيِّ»: مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ هَذَا غَيْرُ مَعْرُوفٍ عِنْدَ أَهْلِ الصَّنَاعَةِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالنَّقْلِ، وَقَدْ تَوَاتَرَتْ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذِكْرِ الْمَهْدِيِّ، وَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ.

وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ: تَفَرَّدَ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ هَذَا. وَقَدْ قَالَ الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: هُوَ مَجْهُولٌ، وَقَدْ اخْتَلَفَ عَلَيْهِ فِي إِسْنَادِهِ؛ فَرُوي عَنْهُ عَنْ أَبَانَ بْنِ أَبِي عِيَّاشٍ عَنِ الْحَسَنِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ: فَرَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ وَهُوَ مَجْهُولٌ، عَنْ أَبَانَ بْنِ أَبِي عِيَّاشٍ وَهُوَ مَتْرُوكٌ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُنْقَطِعٌ، وَالْأَحَادِيثُ فِي التَّنْصِيصِ عَلَى خُرُوجِ الْمَهْدِيِّ أَصَحُّ إِسْنَادًا^(٤).

(١) قوله: «ابن القيم الجوزية»، كذا في النسخ، ولعل الصواب أن يقال: «ابن قيم الجوزية»، أو: «ابن القيم» دون كلمة «الجوزية».

(٢) رواه ابن ماجه (٤٠٣٩)، وقد تقدم.

(٣) قوله: «الإسنوي»، كذا في النسخ، والذي في «المنار المنيف» لابن القيم - والكلام منه -: «الآبري»، وهو الصواب، وقد تقدمت ترجمته قريباً.

(٤) قاله البيهقي في «البعث والنشور» كما في «تفسير القرطبي» (١٠ / ١٨٠)، وليس في المطبوع منه. وقد رواه عنه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧ / ٥١٨)، كما ذكره عنه ابن الجوزي في «العلل» =

قال ابن القيم: كحديث ابن مسعود عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ، لطوّل الله ذلك اليوم حتى يُبعث رجلٌ مني أو من أهل بيتي، يُواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسنٌ صحيحٌ، قال: وفي الباب عن عليّ وأبي سعيدٍ وأمّ سلمة وأبي هريرة^(١)، ثم روى حديث أبي هريرة، وقال: حسنٌ صحيحٌ^(٢). انتهى.

وفي الباب عن حذيفة بن اليمان، وأبي أمامة الباهلي، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وثوبان، وأنس بن مالك، وجابر، وابن عباس، وغيرهم^(٣). وفي «سنن أبي داود»: عن عليّ: أنّه نظر إلى ابنه الحسن، فقال: إنّ ابني هذا سيّدٌ كما سمّاه النبي عليه السلام، وسيخرج من صلبه رجلٌ يُسمّى باسم نبيكم، يُشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق؛ - أي: في كماله - يملأ الأرض عدلاً^(٤).

وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «المهدي مني، أجلى الجبهة، أفنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يملك سبع سنين». رواه أبو داود بإسنادٍ جيّد، من حديث عمران بن داود القطان - وقال: حسن الحديث -، عن قتادة، عن أبي الصديق الناجي عنه، وروى الترمذي نحوه من وجهٍ واحدٍ^(٥).

= (٢ / ٨٦٢)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٢٥ / ١٥٠).

(١) رواه أبو داود (٤٢٨٢)، والترمذي (٢٢٣٠).

(٢) رواه الترمذي (٢٢٣١).

(٣) تقدمت أحاديثهم منثورة في هذه الرسالة.

(٤) رواه أبو داود (٤٢٩٠)، وإسناده ضعيف، وقد تقدم.

(٥) كذا وقعت هذه العبارة عند المؤلف، وفيها تحريف في بعض الكلمات، وزيادة في أخرى، وإسقاط لبعض العبارات، وسنذكر كلام ابن القيم في «المنار المنيف» ليظهر ما ذكرناه، ونصه: «رواه أبو داود =

وروى أبو داود من حديث صالح بن أبي مريم أبي الخليل، عن صاحب له، عن أم سلمة، عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: «يكونُ اختلافٌ عند موت خليفة، فيخرجُ رجلٌ من أهل المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناسٌ من أهل مكة، فيخرجونه وهو كارهٌ، فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعثُ إليه بعثٌ من الشام فيخسفُ بهم بالبيداء بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك، أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق، فيبايعونه، ثم ينشأ^(١) [رجلٌ] من قريش، أخواله كلب، فيبعثُ إليهم بعثاً فيظهرون عليهم، وذلك بعثُ كلب، والخبيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب، فيقسم المال، ويعمل في الناس سنة نبيهم، ويلقي الإسلام بجرانه في الأرض، فيلبث سبع سنين، ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون»^(٢)، [وفي رواية: «فيلبث تسع سنين»]^(٣).

ورواه الإمام أحمد باللفظين^(٤).

ورواه أبو داود من وجه آخر، عن قتادة، عن أبي الخليل، عن عبد الله بن الحارث، عن أم سلمة، نحوه^(٥).

ورواه أبو يعلى الموصلي في «مسنده» من حديث قتادة، عن صالح أبي الخليل، عن صاحب له، وربما قال صالح: عن مجاهد، عن أم سلمة^(٦)،

= بإسناد جيد من حديث عمران بن داود العمي القطان عن قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد، وروى الترمذي نحوه من وجه آخر عن أبي الصديق الناجي عنه.

(١) هنا انتهى السقط في النسخة الخطية «د».

(٢) رواه أبو داود (٤٢٨٦)، وقد تقدم.

(٣) ما بين معكوفتين من «المنار المنيف»، وقد أشار إليه أبو داود عقب الرواية السابقة فقال: قال بعضهم عن هشام: «تسع سنين»، وقال بعضهم: «سبع سنين».

(٤) رواه الإمام أحمد باللفظين (٣١٦ / ٦).

(٥) رواه أبو داود (٤٢٨٨)، ولم يسق لفظه.

(٦) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٦٩٤٠).

والحديث حسن، ومثله مما يجوز أن يُقال فيه: صحيح؛ أي: لغيره^(١).
وقال ابن ماجه في «سننه»: حَدَّثَنَا عَثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الْحَفَرِيُّ، حَدَّثَنَا يَاسِينُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ مَرْفُوعاً: «المهدي من أهل البيت، يُصلحه الله في ليلة»^(٢). ويَاسِينُ وإن كان ضعيفاً، فحديثه يصلح للاعتضاد، وإن لم يصلح للاعتماد.

وفي «سننه» أيضاً من حديث ابن لهيعة، عن أبي زيد عمرو بن جابر الحضرمي، عن عبد الله بن الحارث بن جزء^(٣) الزبيدي مرفوعاً: «يخرج ناس من أهل المشرق، فيوطئون للمهدي»^(٤)؛ يعني: سلطانه.

وذكر أبو نعيم في كتابه «أخبار المهدي»: من حديث حذيفة مرفوعاً: «لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ واحدٌ، لبعث الله فيه رجلاً؛ اسمه اسمي، وخلقه خلقي، يُكنى أبا عبد الله». ولكن في إسناده العباس بن بكار، لا يُحتج بحديثه. وقد تقدّم هذا المتن من حديث ابن مسعود وأبي هريرة، وهما صحيحان.

وعن أم سلمة قالت: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «المهدي من عترتي؛ من ولدِ فاطمة». رواه أبو داود وابن ماجه^(٥)، وفي إسناده زياد بن بيان، وثقه ابن حبان، وقال ابن معين: ليس به بأس. وقال البخاري: في إسناده حديثه نظر^(٦).

(١) قوله: «أي لغيره» من كلام المؤلف لا من كلام ابن القيم.

(٢) رواه ابن ماجه (٤٠٨٥). ورواه أيضاً البخاري في «التاريخ الكبير» (٣١٧ / ١) وقال: في إسناده نظر. وفيهما: «المهدي منا...»، وقد تقدم.

(٣) تحرفت في النسخ الأربعة إلى: «حسن».

(٤) رواه ابن ماجه (٤٠٨٨).

(٥) رواه أبو داود (٤٢٨٤) واللفظ له، وابن ماجه (٤٠٨٦). وقد تقدم.

(٦) انظر: «التاريخ الكبير» (٣ / ٣٤٦).

وقال أبو نعيم: حَدَّثَنَا خَلْفُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْعَبَّاسِ الرَّامَهُزْمِيُّ فِي كِتَابِهِ، حَدَّثَنَا هَمَّامُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَيُّوبَ، حَدَّثَنَا طَالُوتُ بْنُ عَبَّادٍ، حَدَّثَنَا سُويْدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ أَبِيهِ مَرْفُوعاً: «لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ مِنْ عِترتي رجلاً أفرق الثنايا، أجلى الجبهة، يملأ الأرض عدلاً، ويفيض المال». ولكنَّ طَالُوتَ وشيخه ضعیفان، والحديث ذكرناه للشواهد.

وقال يحيى بن عبد الحميد الحماني في «مسنده»: حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ، عَنْ أَبِي حُصَيْنٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعاً: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمْلِكَ [رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَفْتَحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ وَجَبَلَ الدَّيْلَمَ، وَلَوْ لَمْ يَبْقَ إِلَّا يَوْمٌ طَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَفْتَحَهَا»^(١)، يحيى بن عبد الحميد وثقه ابن معين وغيره وتكلم فيه أحمد.

وقال أبو نعيم: حَدَّثَنَا أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ طَارِقٍ، عَنْ الْجَيْدِ بْنِ نَظِيفٍ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ الَّذِي يَصْلِي عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خَلْفَهُ» وهذا إسناد لا تقوم به حجة، ولكن في «صحيح ابن حبان» من حديث عطية بن عامر نحوه^(٢).

وقال الحارث بن أبي أسامة في «مسنده»: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَقِيلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنْبِهِ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، يَقُولُ أَمِيرُهُمُ الْمَهْدِيُّ: تَعَالَى صَلِّ بَنَا، يَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَهُمْ أَمِيرٌ بَعْضٌ، تَكْرِمَةً لِلَّهِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ»^(٣)، وهذا إسناد جيد.

(١) ومن طريق يحيى بن عبد الحميد: رواه الرافعي في «التدوين في أخبار قزوين» (٣/ ٢٩٧).
وقيس بن الربيع قال عنه يحيى: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: ليس بقوي ومحل الصدق.
انظر: «الكاشف» للذهبي (٢/ ١٣٩).

(٢) لم أجده.

(٣) لم أجده في المطبوع من «مسند الحارث»، وعزاه السيوطي في «الحاوي» (٢/ ٦١) لأبي نعيم. =

وقال الطبراني: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا الْهَلَالِيُّ، حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ بَكَّارٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ زُرَّارِ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ، فَذَكَرَ مَا هُوَ كَائِنٌ ثُمَّ قَالَ: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ رَجُلًا مِنْ وَلَدِي اسْمُهُ اسْمِي»^(١)، وَلَكِنْ هَذَا إِسْنَادٌ ضَعِيفٌ.

وهذه الأحاديث أربعة أقسام: صَحَاحٌ، وَحِسَانٌ، وَغَرَائِبٌ، وَمَوْضُوعَةٌ.

وقد اختلفَ النَّاسُ فِي الْمَهْدِيِّ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، وَهُوَ الْمَهْدِيُّ عَلَى الْحَقِيقَةِ.

وَاجْتَمَعَ أَصْحَابُ هَذَا بِحَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدِ الْجَنْدِيِّ الْمُتَقَدِّمِ، وَقَدْ بَيَّنَّا حَالَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَصِحُّ، وَلَوْ صَحَّ لَمْ يَكُنْ فِيهِ حُجَّةٌ؛ لِأَنَّ عِيسَى أَعْظَمُ مَهْدِيٍّ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَقَدْ دَلَّتِ السُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى نَزُولِهِ عَلَى الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، وَحُكْمِهِ بَكْتَابِ اللَّهِ، وَقَتْلِهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، وَوَضْعِهِ الْجُزْيَةَ، وَإِهْلَاكِ أَهْلِ الْمَلِكِ فِي زَمَانِهِ، فَيَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: لَا مَهْدِيٍّ فِي الْحَقِيقَةِ سِوَاهُ وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ مَهْدِيًّا؛ كَمَا يُقَالَ: لَا عِلْمَ إِلَّا مَا نَفَعَ، وَ: لَا مَالَ إِلَّا مَا وَقَى وَجْهَ صَاحِبِهِ، وَكَمَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: إِنَّمَا الْمَهْدِيُّ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، يَعْنِي: الْمَهْدِيُّ الْكَامِلَ الْمَعْصُومَ.

القول الثاني: أَنَّهُ الْمَهْدِيُّ الَّذِي وَلِيَ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ، وَقَدْ انْتَهَى زَمَانُهُ، وَاجْتَمَعَ أَصْحَابُ هَذَا الْقَوْلِ بِمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ شَرِيكِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي قَلَابَةَ، عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّاياتِ السُّودَ قَدْ أَقْبَلَتْ مِنْ خُرَاسَانَ فَأَتَوْهَا وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلَجِ فَإِنَّهُ فِيهَا خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ»^(٢).

= ورواه مسلم (١٥٦) من طريق ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر به، دون كلمة: «المهدي».

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٢٢٢) من طريق زر عن ابن مسعود، ولم أجده من حديث حذيفة، وقد تقدم قريباً حديث ابن مسعود.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٧٧ / ٥)، وقد تقدم.

وعليُّ بنُ زيدٍ قد رَوَى له مسلمٌ مُتَابِعَةً، ولكنْ هو ضعيفٌ وله مناكيرٌ تفرَّدَ بها، فلا يُحتجُّ بما ينفردُ به.

ورَوَى ابنُ ماجه من حديثِ الثوريِّ، عن خالدٍ عن أبي قلابَةَ، عن أبي أسماء، عن ثوبان، عن النبيِّ ﷺ نحوه^(١)، وتابَعَهُ عبدُ العزيز بنُ المختارِ عن خالدٍ.

وفي «سنن ابن ماجه» عن عبد الله بن مسعودٍ قال: بينما نحن عند رسولِ الله ﷺ إذ أقبلَ فتيةٌ من بني هاشم، فلَمَّا رَأَاهُم النبيُّ ﷺ اغْرُورَقَتْ عيناهُ وتَغَيَّرَ لَوْنُهُ، فَقُلْتُ: ما نَزَّالٌ نَرَى في وجهك شيئاً نَكْرَهُه؟ قال: «إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ اخْتَارَ اللهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَإِنَّ أَهْلَ بَيْتِي سَيَلْقَوْنَ بَلَاءً وَتَشْرِيداً وَتَطْرِيداً، حَتَّى يَأْتِيَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ»^(٢) ومَعَهُمْ رَايَاتٌ سَوْدٌ يَسْأَلُونَ الْحَقَّ فَلَا يُعْطَوْنَ، فَيُقَاتِلُونَ فَيُنْصَرُونَ، فَيُعْطَوْنَ مَا شَاؤُوا فَلَا يَقْبَلُونَهُ حَتَّى يَدْفَعُوها إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَيَمْلُؤُها قِسْطاً كَمَا مُلِئَتْ جَوَراً، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ، فَلْيَأْتِهِمْ وَلَوْ حَبَوا عَلَى الثَّلْجِ»^(٣).

وفي إسناده يزيد بنُ أبي زيادٍ، وهو سيِّءُ الحفظِ، اختلَطَ في آخرِ عُمُرِهِ، وكان يَقْبَلُ الْفُلُوسَ.

وهذا والذي قبله لو صحَّ، لم يكن فيه دليلٌ على أنَّ المهديَّ الذي تولَّى من بني العباسِ هو المهديُّ الذي يخرجُ في آخرِ الزَّمانِ؛ بل هو مهديٌّ من

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٨٤). ورجاله ثقات، لكن خالف الثوري في إسناده عبد الوهاب بن عطاء فرواه عن خالد الحذاء موقوفاً، كما رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (٨٩٦) عن أبي نصر الخفاف (وهو عبد الوهاب بن عطاء) عن خالد الحذاء، والحاكم في «المستدرک» (٨٥٣١)، وعنه البيهقي في «الدلائل» (٥١٦ / ٦)، من طريق يحيى بن أبي طالب، عن عبد الوهاب بن عطاء عن خالد الحذاء.

(٢) من قوله: «رجلٌ من أهل بيتي يفتح القسطنطينية وجبل الديلم» إلى هنا ساقط من النسخ، ووقع مكانه في «ف» و«و» بياض بمقدار كلمة، ولعله خرم وقع في نسخة المؤلف من «المنار المنيف» فاستدركناه منه، فإن الكلام لا يستقيم إلا به.

(٣) رواه ابن ماجه (٤٠٨٢) وقد تقدم.

جملة المهديين، وعمر بن عبد العزيز كان مهدياً؛ بل هو أولى باسم المهدي منه^(١)، وقد قال عليه السلام: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»^(٢).

وقد ذهب الإمام أحمد - في إحدى الروايتين عنه - وغيره إلى أن عمر ابن عبد العزيز منهم، ولا ريب أنه كان راشداً مهدياً، ولكن ليس بالمهدي الذي يخرج في آخر الزمان؛ فالمهدي في جانب الخير والرشد كالدجال في جانب الشر والضلال، وكما أن بين يدي الدجال الأكبر صاحب الخوارق دجالون كذابون، فكذلك بين يدي المهدي الأكبر مهديون راشدون.

القول الثالث: أنه رجل من أهل بيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم؛ من ولد الحسن بن علي، يخرج في آخر الزمان، قال: «وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً، فيملؤها قسطاً وعدلاً»، وأكثر الأحاديث على هذا تدل.

وفي كونه من ولد الحسن سرٌ لطيف، وهو أن الحسن ترك الخلافة لله، فجعل الله من ولده من يقوم بالخلافة الحق المتضمنة للعدل الذي يملأ الأرض، وهذه سنة الله في عباده: أنه من ترك شيئاً لله، عوّضه الله أو أعطى ذريته أفضل مما تمنّاه، وهذا بخلاف الحسين؛ فإنه حرص عليها، وقاتل عليها، فلم يظفر بها^(٣).

هذا لفظ ابن القيم، وهو ليس بقيم؛ فإن الحسين حاشاه أن يكون حريصاً على الخلافة ولا عازماً على المقاتلة؛ بل ألزم بمطالبة جماعة من الأمة أن يأتي الكوفة ويخلص المؤمنين عن أيدي الظلمة والفجرة، فوجب عليه الإتيان إليهم، فلما أشرف عليهم، خالفوا عهودهم، ونكثوا وعودهم، وقد ظفر حسين بسعادة

(١) في «ج»: «من غيره».

(٢) رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢). قال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) انظر: «المنار المنيف» (ص ١٤١ - ١٥١).

الشهادة التي هي أحسن مراتب السيادة^(١)، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، إذ كان ذلك بالكتاب مسطوراً.

قال: وقد روى أبو نعيم من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «يخرج رجل من أهل بيتي، ويعمل بسنتي، وينزل الله له البركة من السماء، وتخرج له الأرض بركتها، ويملا الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً، ويعمل على هذا الأمر سبع سنين، وينزل بيت المقدس»^(٢).

وروي أيضاً من حديث أبي أمانة، قال: خطبنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وذكر الدجال، قال: «فتنفي المدينة الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص، فقالت أم شريك: فأين العرب يا رسول الله؟ قال: هم يومئذ قليل، وجلهم بيت المقدس، وإمامهم المهدي؛ رجل صالح»^(٣).

وروي أيضاً من حديث عبد الله بن عباس مرفوعاً: «لم تهلك أمة وأنا في أولها، وعيسى في آخرها، والمهدي في وسطها»^(٤). فهذه أقوال أهل السنة.

وأما الرافضية^(٥) والإمامية فلهم قول رابع: وهو أن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري المنتظر، من ولد الحسين بن علي، لا من ولد الحسن، الحاضر في الأمصار، الغائب عن الأبصار، الذي يورق العصا، ويختم العصا^(٦)، دخل سرداب

(١) «د»: «السعادة».

(٢) ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٠٧٥). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣١٧): فيه من لم أعرفهم. وقد تقدم.

(٣) قطعة من حديث طويل رواه ابن ماجه (٢٠٧٧)، وقد تقدم.

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ٣٩٤-٣٩٥). وقد تقدم.

(٥) في «د»: «الرافضة».

(٦) كذا في النسخ الأربعة، والذي في «المنار المنيف»: «يورث العصا ويختم الفضا».

سامراً طفلاً صغيراً [من] أكثر من خمس مئة سنة، فلم تره بعد ذلك عين، ولم يحس له بخبر ولا أثر، وهم ينتظرونه^(١) كل يوم، ويقفون بالخيال على باب السرداب، ويصيحون به أن يخرج إليهم: اخرج يا مولانا! اخرج يا مولانا! ثم يرجعون بالخيبة والحرمان، فهذا دأبهم ودأبه، ولقد أحسن القائل:

ما آن للسرداب أن يلد الذي كلَّمْتُمُوهُ بجهلكم ما آن
فعلى عقولكم العفاء فإنَّكم ثلثتم العنقاء والغيلانا
ولقد أضحى هؤلاء عاراً على بني آدم، وضحكة يسخر منهم كل عاقل في العالم.

وأما مهدي المغاربة: محمد بن تومرت، فإنه رجل كذاب ظالم متغلب بالباطل، ملك بالظلم والتغلب والتحليل، فقتل النفوس، وأباح حريم^(٢) المسلمين، وسب ذريتهم، وأخذ أموالهم، وكان شراً على الأمة من الحجاج بن يوسف بكثير، وكان يودع بطن الأرض في القبور جماعة من أصحابه أحياء، ويأمرهم أن يقولوا للناس: إنه المهدي الذي بشر به عليه السلام، ثم يردم عليهم لئلا يكذبوه بعد ذلك، وسمي أصحابه الجهمية نفاة صفات الرب وكلامه وعلوه على خلقه، واستوائه على عرشه، ورؤية المؤمنين له بالأبصار يوم القيامة: (الموحدين)، واستباح قتل من خالفهم من أهل العلم والإيمان، ويسمى بالمهدي المعصوم.

ثم خرج المهدي الملحد من أبيه^(٣) عبيد الله بن ميمون بالقداح^(٤) - أي: من

(١) في «د» و«ج»: «ينتظرون».

(٢) في «ج»: «دم».

(٣) قوله: «من أبيه» كذا في «و» و«ج» و«ف»، وفي «د»: «من ذرية». وليست في «المنار المنيف»، حيث فيه: «الملحد عبيد الله».

(٤) في المصدر: «القداح» دون باء.

أراضي اليمن^(١) - وكان جدّه يهوديّاً ابنَ بنتِ مجوسيّ، فانتسبَ بالكذبِ والزُّورِ إلى أهلِ البيتِ، وادّعى أنّه المهديُّ المبشّرُ، وملكَ وتغلّبَ، واستفحلَ^(٢) أمرُهُ إلى أن استولتْ ذُرِّيَّتُهُ الملاحدةُ المنافقونَ الذين كانوا أعظمَ الناسِ عداوةً لله ورسوله على بلاد اليمنِ والمغربِ ومصرَ والحجازِ والشَّامِ، واشتدَّتْ غُرْبَةُ الإسلامِ ومحتته ومصيبته بهم، وكانوا يدَّعونَ الإلهيّة، ويدَّعونَ أنَّ للشَّريعةِ باطناً يُخالفُ ظاهرها، وهم ملوكُ القَرَامِطَةِ الباطنيّةِ أعداءُ الرُّسلِ، تستروا بالرَّوافضي والانتسابِ إلى أهلِ البيتِ، فدانوا بدينِ أهلِ الإلحادِ، ولم يزلْ أمرُهُم ظاهراً إلى أن أنقذَ اللهُ الأُمَّةَ ونصرَ الإسلامَ بالملكِ صلاحِ الدِّينِ يوسفَ بنِ أيُّوبَ، فاستنقذَ المِلَّةَ الإسلاميّةَ منهم، وأبادَهُم، وعادتْ مصرُ دارَ إسلامٍ^(٣) بعد أن كانت دارَ نفاقٍ وإلحادٍ في زمنِهِم.

والمقصودُ: أنَّ هؤلاء لهم مهديّ، وأتباعُ ابنِ ثومرتَ لهم مهديّ، والرَّافضةُ الاثنا عشريةُ لهم مهديّ، فكلُّ من هذه الفرقِ يدَّعي في مهديّةِ الظُّلومِ الغُشومِ أو المستحيلِ المعدومِ أنّه الإمامُ المعصومُ والمهديُّ المعلومُ، الذي بشرَ به النَّبيُّ عليه السَّلامُ وأخبرَ بخروجه، نحن ننتظرُهُ كما ينتظرُ اليهودُ القائمَ الذي يخرجُ في آخرِ الزَّمانِ؛ يعني: الدَّجالَ الأكبرَ، فتعلو به كلمتُهُم، ويقومُ به دينُهُم ومِلَّتُهُم، ويتصرونَ به على جميعِ الأُممِ، والنَّصارى تنتظرُ المسيحَ يأتي قبلَ يومِ القيامةِ، فيقيمُ دينَ النَّصرانيّةِ، ويُبطلُ سائرَ الأديانِ، وفي عقيدَتِهِم شرعُ المسيحِ الذي هو إلهٌ حقٌّ من إلهِ حقٍّ من جوهرِ أبيه الذي نزلَ لخاصَّنا^(٤).. إلى أن قالوا: وهو مستعدٌّ للمجيءِ قبلَ يومِ القيامةِ.

(١) «أي من أراضي اليمن» من كلام المؤلف وليست في المصدر.

(٢) في «ج»: «واستعلى».

(٣) «د»: «الإسلام».

(٤) في «ج» و«د»: «لخلاصنا»، والمثبت من «ف» و«و». ووقع في مطبوع «المنار المنيف» مكانها: «طامينا».

فَالْمِلُّ الثَّلَاثُ تَنْتَظِرُ إِمَامًا قَائِمًا يَقُومُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَتَنْتَظِرُ الْيَهُودُ هُوَ الَّذِي
يَتَّبِعُهُ مِنْ يَهُودٍ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا.

وَفِي «الْمُسْنَدِ» مَرْفُوعًا: «أَكْثَرُ أَتْبَاعِ الدَّجَالِ الْيَهُودُ وَالنِّسَاءُ»^(١).
وَالنَّصَارَى تَنْتَظِرُ الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، وَلَا رَيْبَ فِي نَزْوِلِهِ، وَلَكِنْ إِذَا نَزَلَ
كَسَرَ الصَّلِيبَ، وَقَتَلَ الْخَنْزِيرَ، وَأَبَادَ الْمِلَلَ كُلَّهَا سِوَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ^(٢).
أَمَّا تَنَا اللَّهُ عَلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَتَابِعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ أَجْمَعِينَ^(٣).

(١) رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٤ / ٢١٦) مِنْ حَدِيثِ عَثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ.

(٢) انْظُرْ: «الْمَنَارُ الْمَنِيفُ» (١٥١ - ١٥٥).

(٣) جَاءَ فِي آخِرِ النُّسخَةِ الْخَطِيئَةِ «ج»: «تَمَّتْ عَلَى يَدِ الْعَبْدِ الْمَذْنُوبِ الذَّلِيلِ، قَائِلًا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ،
أَحْمَدُ بْنُ خَلِيلٍ، غَفَرَ لِهَمَا الْجَلِيلِ الْجَمِيلِ، بَعْدَ الظُّهْرِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ... سَابِعِ رِبْعِ الْأَوَّلِ، بَعُونَهُ عَزَّ
وَجَلَّ، عَامَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمِئَةً وَأَلْفٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ».

وَجَاءَ فِي آخِرِ النُّسخَةِ الْخَطِيئَةِ «د»: «أَنَّهَا نُسَخَتْ بِخَطِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْحَاجِّ عَثْمَانَ بْنِ الْحَاجِّ
مُحَمَّدِ بْنِ شَاهِ حُسَيْنِ الدِّيُورَكِيِّ فِي بَلَدَةِ سَيَوَاسٍ فِي الْمَدْرَسَةِ الشَّفَائِيَّةِ، فِي سَنَةِ (١١٣٧) فِي شَهْرِ
صَفَرِ الْآخِرِ».